423

أخبار اليوم

قطاع الثقافة

الأعمال الكاملة للدكتور مصطفى محمود

http://wahetelkotob.com/

نوعم

S.O.S

دكتور مصطفى محمود

إليك أهدى هذا
الكتاب
ولو استطعت
لأهديتك روحى

أحمد

دار أخبار اليوم
قطاع الثقافة

غـومـا

«الزعيم»

د. مصطفى محمود

مجموعة الأعمال الكاملة

د. مصطفى محمود

غوما

«الزعيم»

مسرحية من ثلاثة فصول عن

حياة البطل العربى (غوما) الذى

كافح الاستعمار فى الشمال الأفريقى

عشرين عاماً.

الفصل الاول

سـوق طرابلس الغرب.. نهار.. ساحـة فسيحة يزدحم فيها الباعة وقـد صفوا بضائعهم على الأرض فى دكاكين واختلط الدواب بالمارة من كل لون.. جنود أتراك فى بذلاتهم الرسمية.. وعرب يلبسون الجرود.. وأعيان يلبسـون الكاط الحريـر.. ومشايخ قبائـل يلبسون البرنس المنقوشـ بالفضة والطربوشـ الأحمر ذا الـزر.. وفرسان عرب على خيولهم.. ونساء محجبات لايظهر منهن إصبع خلف العباءات.

نـرى سامرا يتحلق حوله المارة وفـى الوسط على كرسى مرتفع يقف المنادى يدق جرساً.

المنادى -(بصـوت جهورى) يا أهـل طرابلس.. يا سـكان الديار مـن كل الأعمـار.. صناع وتجـار وعرب وعـرب أخيار... بشرى هنية فى هذه الصبحية نزف لكم هذه الإخبارية.. لقـد هزمت القـوات التركيـة جيش الدولة القـره ماللية وعادت طرابلس إلى الخلافة العثمانية وسقطت الحكومة الاستغلاليـة التى ذقنا علـى يديها شر البلية وهكذا زالت دولة القـره ماللى الظالمـة وانتهت سيطرتهـا الغاشمة..

وعـاد الأمـان بعـودة الملك إلى يد مولانـا السلطان سليل آل عثمان..وجـاء الـوالى التركـى نجيـب باشـا وفى يده الفرمـان وخاتم الأمـان بتخفيف الضرائـب والجبايات والأعشـار والاستقطاعـات (يدق الجرس) ، ومن اليوم تكون المستحقات كما هو آت (يدق الجرس).

ضريبـــة الطاقية على كل رأس آدميـــة ٤٠ قرش تركية.. وعلى كل جمل وناقة ٤٠ قرش تركية.

معروف بن عون ـ (مقاطعاً فى سخرية) ترقية والله وأى ترقية..

مولانـا السلطـان ساوانـا بالحيـوان كل رأس **فيكو** يا جدعان عليها تعريفة قد الراس العجالى تمام.

المنادى ـ لا تهـرج يا معروف واشكـر السلطان لأنـه جعل أمثالك مـن الفجار أعلى شأناً من الحمـار فعلى كل حمار يدفع صاحبه أربعة قروش وعلى رأسك تدفع أربعين .. منتهى التشريف والعدل والتخفيف على أمثالك من الحلاليف.

معروف ـ حلاليـف حلاليـف بس نلاقـى العليـف ، وحياتك ما حد لاقى رغيف (ضحك وضجة).

المنادى ـ هس.. هس

(يـــدق الجرس) وعلـــى كل شجرة ٥، ٢ قرش سنوية تدفع عن كل نخلة وزيتونة وكرمة أما باقى الأشجار فتعفى من الأعشار.

معروف ـ (ساخراً) وهو فاضل ايه يا عم.. هو احنا بنزرع حاجة غير النخل والتين والزيتون؟

المنادى ـ يا معروف يا متلوف اسمع كلام السلطان وانت ساكت.

معروف ـ حاضّر يا سيدى سمعنا وأطعنا وللخوخ زرعنا.

المنادى ـ أما العيون والآبار فعلى كل عين تستعمل للرى والسقاية ٢٥ قرش سنوية.

اما محاصيل الحبوب فيدفع منهـا أربعة أعشارها **بمعدل مجيدى** ذهـب عـن كل قنطار وعلى الجواهـر ١٦ بارة عن كل أوقية فضة ، ١٦ بارة عن كل **مثقال ذهب**.

ويعفى من هذه الضرائب الاتراك والكراغلة **وأولادهم** وكذا مشايخ القبائـل وأولادهم والقناصـل **وجالياتهم** الأجنبية كما هو معلوم فى المـكارم **السنية** والاعفاءات السلطانية (**يدق الجرس**)**هذا وقد تفضل** حضرة صاحب العـزة الوالى **بدعوة** عموم المشايخ من شتى الطوائف وكافـة أعيان **طرابلس** مـن التجار والعلماء للاجتمـاع به فى **مسجد** الشهيـد درغوت لأخذ العهد والميثاق **وتوقيـــع** الأوراق.. والرجاء عدم التخلف... **والحاضر منكم يُعلم الغايب.**

(**ينزل المنـــادى وينفض السامر.. ولا يبقـــى إلا معروف ويوسف القـــره مالـلى (عجـــوز متهالك تتهدل لحيته البيضـــاء على صدره)**

وغومـــا وأتباعه من مشايخ المحاميـــد وفرسانها عبد الجليل وقاسم المحمودى وفرسان آخرون).

معروف ـ(**يضرب القـــره مالـلى على مؤخرته**) قـره مالـلى يوك.. انتهى عهد قره مالـلى يوك.. حكومة استغلالية ذقنا على يديها شر البلية ، شلوت للقره ماللية.

يوسف القره مالـلى ـ عصـر قـره مالـلـى أعظم عصـر فـى تاريخ العـرب.. بحريـة طرابلس فى عهـد سيادتنا أسرت سبـع سفـن سويدية.. وجـاء نابليون ليتوسط عنـد سيادتنا لإطلاق سراح السفن.. جناب نابليون.. جناب نابليون شخصياً.

أسطـــول أمريـكان يدفـع لنـا ٦٠٠٠٠ دولار رسـم مـرور لسفـن الأمريكان فى البحر ، اسطول **قره مالـلى** لا يسمح.. اسطول قره مالـلى يغـرق سفينة حربية أمريكيـة فيلادلفيـا.. ويأخذ قبطـان **أمريكانى** أسير.. هـاهـا، هذا عصر قره مالـلى..

معروف ـ الراجل بيخرف بيقول ايه ؟..

غومـا ـ كلام صحيـح وارد فـى التاريـخ يا معـروف.. يوسف قره مالـلى صاحب جاه وسلطان وهيلمان مثل محمد على فى مصر دوخ دولاً كبرى.. وجاءت أيام وراحت أيام.

معروف ـ وراح القره مالـلى.. مسكين قره مالـلى..

عبد الجليل ـ(للشيخ العجوز) أيام امتشاق الحسام والضرب فى المليـان ارتفع شـأن قره مـاللـى.. بعدين قـره مـاللى يـأكل يوغورت ويحلى بقـلاوة ويسهر عنـد سعادات هـانم ويجمع البـارات من العرب بـالكربـاج انتهى شأن قره مـاللى.

يوسف قره مـاللى ـ مضبوط افندم.. معاك حق افندم..

غومـا ـ(**يلـوح بسيفه**) فى إمكاننا نحـن العرب أن نكون أقوى من دولة قره مـاللى.

معروف ـ كيف يا مولانا والكربـاج ورانا ؟

غومـا ـ الكربـاج وراءنا لأننـا رضينا العبودية ، لأن العربى يدفع البـارات والقروش والعثمـاللى يبنى الأساطيـل ، العربى يـزرع النخـل والعثمـاللـى يأكل البلـح.. الوظائـف للترك وقيـادات الجيش للـترك والبحرية للـترك والعربى يكتفى بصنع النعال والأوتاد والخيام والجرود.

قاسـم ـ ومـا العمل ؟..

غومـا ـ الثـورة.. الخليفـة العثمانـى يحكمنا باسـم الاسلام فأين مسـاواة الاسـلام والدولة نصفهـا سادة ونصفهـا عبيد ، يجب أن نطالب بـالمساواة بوظائف الدولة وقيادات الجيش وأن نقرر ضرائبنا بـأنفسنا.

معروف ـ الضرائـب تـأتـى مـن فـوق ومن لا يدفـع بالـذوق يدفع بالعصا.

غومـا ـ يجب أن نثور على العصا.

معروف ـ نثور على الامبراطورية العثمانية كلها ؟

غومـا ـ(**فى عنف**).. إرادة صادقة واحدة تستطيع أن تدك الجبال.

قاسم ـ ومن أين لنا بالسلاح لنواجه جيشاً تركياً بأسره ؟

غومـا ـ(**يصرخ**) ـ نغصبه.

الكل فى همس ـنغصبه ؟ !

غومـا ـ(**بعـزم**) يجـب أن تنقلب هـذه الرمال الوادعـة الهادئة جحيمـاً على غاصبيها وهـذه القنوات التى جفت من طول الخضـوع والخنوع تمتلىء دمـاً.. كل هؤلاء البدو الأشراف مـن بطـون هـلال وسليـم والعمـايم والنوايـل والغنايمة والرحيبات والرجبان والعبيدات والجوارى وأولاد معروف وأولاد ذويب، وأولاد قايد وأولاد عون واولاد سلطان.. الكل يجـب أن يثوروا يـداً واحدة.. يجب أن ننطلـق كالرياح فى الجهـات الأربع لنكون العيون والآذان لهم جميعاً.. أنت يا عثمـان تذهـب إلى مصراته وأنت يا عبـد الجليل إلى فزان وأنـت يا ميلـود إلى الدواخـل وأنت يا شقـرون إلى جنزور

وأنـت يـا غريـانـى إلى الجبل.. يجب أن تتحرك هذه النجوع ويخرج منها ألوف المردة.

يوسف قره مالـلى- عفارم.. عفـارم.. عثمـاللى اضرب فى المليان.. قره مـاللى اضرب معك.

معروف ـ (ساخـــراً) قره مـاللى كحيـان.. حاتضرب معنا بإيه ؟ حاتهز ذقنك !

يوسف قره مالـلى ـ ذقنى أطول من لسانك. خرسيس ؟!

معروف ـ حاتعمل إيه قره مـاللى والنبى ؟

يوسف قره مالـلى ـ دعوات الله الكريم ينصر العربى الغلبان.

معـــروف ـ حرب علـى طريقةعشانا عليك يـا رب.. لا والله خليها لك.

غومـا ـ (ناظـراً فى إعجـاب إلى القره مالـلى) مـازال يثور وهو فى التسعين.. فـارس شجـاع قره مـاللى.

يوسف قره مالـلى ـ تشكرات افندم.. الله معك.

غومـا ـ (ينظر إلى قاسم) والآن دورك يـا قـاسم...

قاسم ـ أنـا سـوف أذهب إلى يفرن.. هذه بلدى وسوف أجعلها تهب هبة رجل واحد.

غومـا ـ (فـــى تفكير) لا.. إنى أعد لك دوراً أكبر سوف تبقى معى..

سـوف نتشرف اليوم بلقاء نجيب باشا فى مسجد درغوت فـى وفد الأعيـان والتجار لـنرى ما يكون مـن أمر العهد والميثاق وتوقيع الأوراق.

معروفـ وأنا يا غوما ؟..

غومـا ـ يكفينا لسانك سلاحاً شريطة أن يكون قاطعاً كالسيف.

معروف ـ نعم.. نعم.. وهى أيضاً حرب مأمونة حرب الألسن هذه.. أدم علينا نعمتها يا رب.

غومـا ـ ليست مأمونة دائماً يا معروف.

(يظلـــم المسرح تدريجياً ويسمع فـــى الظلام قرع جرس المنادى ونداءاته).

ـ إلى مسجـد درغوت يا معشر أعيـان طرابلس إلى مسجد درغوت يا مشايخ.

إلى مسجد درغوت يا تجار.

إلى اجتماع الوالى سيد البلاد نجيب باشا.

(يضـــىء المسرح فنرى مسجد درغوت ملآنا بجمهرة من الأعيان والتجار والمشايخ... أحمد قورجى نائب الوالى واقفاً فى الصدارة.. معروف وغوما وقاسم يتغامزون همسا المشهد ساعة ظهر).

أصوات ـ صاحب سعادة الوالى فى الطريق.

أصوات ـ أدام الله عز مولانا.. أدام الله عز مولانا.

أحمد قورجى ـ (يكلم المجتمعين) صاحب السعادة الوالى مهتم كثيراً بمطالب أهل طرابلس ورضاء أهل طرابلس.. الله أنقذ هذه البلاد من ظلم القره ماللى وكرباج القره ماللى على يد الوالى.. الله أراد لكم الخير الكثير بقدوم الباشا :.. قائد بحرى عظيم.. أسطول عثمانى كبير، اثنان وعشرون سفينة بقيادة الباشا يحمى شواطىء طرابلس من الكفار الملاعين..

الباشا : فكر كل يوم فى خير طرابلس.. الباشا أمر بصك عملات جديدات..بارات ومجيديات لتسهيل المعاملات.

معروف ـ (هامساً فى غيظ) لتسهيل الجبايات ونشل الثروات

أحمد قورجى ـ السلطان أصدر فرمان بتعيين الباشا على ولاية طرابلس... الله نشكر على الاختيار السديد.. تعظيمات كثيراً لله.. تشكرات كثيرات.. آمين.

اصوات ـ آمين

معروف ـ (هامساً) آمين ياخدكم أجمعين يا منافقين.

(صوت ضجة فى الخارج)

أحمد قورجى : مولانا وصل ..وقوف جميعاً تحية للباشا.

(يدخل الباشا محمولاً على كرسى وعن يمين ويسار خدم يحركون فـــى أيديهم مراوح للتهوية على وجهـــه.. الخدم يضعون المحفة فى مكان الصدارة)

الباشا : سلام .. سلام

الكل واقفون ـ سلام عليكم ورحمة **الله**.

الباشا : جلوس جميعاً.. جلوس.. اجلس أفندم اجلس.

(**الباشا يناول الفرمـــان السلطانى لنائبه** أحمـد قورجى ليتلوه على أهل طرابلس)

الباشا : اقرأ الفرمان السلطانى أحمد قورجى.

أحمد قورجى : (**يبســـط الفرمان ويقـــرأ**) نحـن خاقـان البرين والبحريـن وحاكـم الدردنيـل والبسفـور وخليفـة المسلمين وسلطان آل عثمان نأمر بأن تكون ولاية طرابلس لعاملنا مصطفى نجيب باشا يتولى شئون المسلمـين فيهـا بأمرنـا وخاتمنا.. كلمتـه كلمتنا وطاعته طاعتنا (**يهتف**) أعز **الله** السلطان.

أصوات ـ أعز **الله** السلطان .

الباشا : أكرمين جميعاً.. مباركين جميعاً عرب شجعان..

اســـلام منتصر بإذن **الله**.. نحن هنا نفتح صفحة جديدة نمحو فيها

مظالم قـره مالـلى.. نسمـع شكايات ونحقق عـدالات ونخفف جبايات ونصدر إعفاءات عن مستحقات على الفقراء المساكين.

غومـا ـ (**يصيـح**) يـا سيـادة الباشا :.. أنـا أطالـب بالنيابة عن أهل البلد بإعفائنا من الضريبة على الأشجار.

أحمد قورجى ـ (**مقاطعاً**) ضريبة على الأشجار بسيط جداً افندم ٢،٥ قرش تركيـة تُدفـع سنويـة.. سنويـة.. فاهم أفندم.

غومـا ـ عن كل نخلة وزيتونة وكرمة ٢،٥ قرش مبلغ كبير افندم وهـذه السنـة قحط وجفاف والأمطـار مقطوعة من شهور والأشجار عارية من الثمار.. كيف ندفع عليها أعشار.

أصوات ـــ تمام والله تمام.. كلام فى محلـه مولانا.. نرجو النظر مولانا.

أحمد قورجى ـ كفر افندم كفى.. كلامك اللى بتقوله كفر..

فى عهد مولانا وببركة السلطان أمير المؤمنين لازم انزل مطر.. نقرأ الفاتحة جميعاً إن ربنا انزل مطر.. بسم **الله** الرحمن الرحيم.

الجميـع يقـرؤون الفاتحـة ـ الحمـد لله رب العالمـين الرحمن الرحيـم مالك يوم الدين إيـاك نعبد وإياك نستعـين اهدنا الصراط المستقيـم صـراط الذين أنعمـت عليهم غير المغضـوب عليهم ولا الضالين آمين .

أحمـــد قورجى ـ ربنا قادر علـى كل شىء انزل مطـر.. والخليفة أمـير المؤمنين يقـرأ تبريكات ويتلو صلوات **لله** كريم انزل مطر (**بعنف إلى رجـــل ضعيف من الجالسين**) فاهم أفندم فاهم أفندم.. انزل مطر.. ضرورى انزل مطر.

الرجل ـ فاهم أفندم.. انزل مطر.. ضرورى انزل مطر.

أحمد قورجى ـ انزل مطر.. ادفع جبايات عشان إصلاحات.

غومـــا ـ نحـن نوافق علـى دفع الضرائـب من أجـل الإصلاحات افنـدم ولكنا لا نجـد إصلاحات الضرائب تدخـل إلى كيس الجابى ولا يصل منها إلى الشعب شىء.

الباشا : الضرائـب نشـترى بها بنـادق وذخيرة وسـلاح ورواتب عسكر سنجق سلطان ليحارب الكفار ويحمى البلاد.

غومـا ـ الضرائـب تدفـع ثمن بنـادق وسـلاح لسنجـق السلطان تمام أفنـدم ولكن سنجق السلطان يستعمـل هذه البنادق ضدنـا نحن وليس ضد الكفار ليأخذ مزيداً من الضرائب.. وهذا ما يفعله سنجق الدولة بقروشنا.

أحمد قورجى ـ مـخ يـوك.. مخ يـوك.. عربـى مجنـون.. اعفى عنه مولانـا.. اعفى عنه.

الباشا : (**يضحك**) فعلاً مخ يوك.. نعفى عنه.. نعفى عنه.

أحمد قورجى ـ تشكـرات مولانـا ولسماحـة مولانـا وعدالـة

مولانـا فـى معاملـة العـرب.. نقـرأ جميعـاً عهد
وميثاق علينا بالطاعة.. كلمة مولانا علينا كلمة
الخليفـة وأمـره أمـر الخليفة وعصيانـه عصيان
الخليفة أمـير المؤمنين حامى حمى الدين ورافع
راية الإسلام..

الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم ..

الـــكل ـ الحمد لله رب العالمـــين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين .

الباشـــا : أكرمـين جميعـاً.. مباركـين جميعـاً.. مشايـخ عـرب شجعـان.. وزع إنعامـات مولانا السلطان علـى كل المشايخ.. كل شيخ قبيلـة برنس ملكـى مطرز بالذهـب صناعة اسطنبـول.. علامة الرضا السلطانى.

أحمد قورجى ـ تشكرات مولانا تشكرات (**يفتح الصناديق**).

أصوات ـ تشكرات مولانا تشكرات.

(أحمـــد قورجى يخرج البرانســـ ويتقدم المشايـــخ واحداً واحداً ويلبسون البرانس).

(يبقى واحد هـــو غوما شيخ قبيلة المحاميد.. يشير عليه زملاؤه المشايخ بأن يتقدم).

أصوات ـ (مشـــيرة إلى غومـــا) شيـخ غومـا المحمودى..شيـخ قبيلة المحـاميد.. اتفضل يـا شيخ..

(غوما يتقدم فى تردد).

أحمد قورجى ـ (فـــى دهشة) شيـخ المحـاميد.. تقـدم مولانـا عفا عنك.. مولانـا مسامح كريم..

الوالى ـ أى نعم تفضل.

(غومـــــا يتقدم فى غيظ).. (أحمـــد قورجى يلبسه البرنس وهو ينظر إليه نظرة لها ما بعدها).

أحمد قورجى ـ والآن نوقـع علـى الأوراق.. بالموافقـات (مشـــيراً إلى أوراق بجانبه) معاهدات علينا جميعاً بالولاء والطاعـة.. وكل واحـد يذهـب إلى حـال سبيلـه.. تشكـرات للـوالى..تشكـرات.

(يبـــدأكل واحـــد فـــى التوقيـــع والانصـــراف)

الباشا : (خارجاً على محفته) سلام.. عرب أكارم.. سلام .

أصوات ـ سلام عليكم ورحمة الله .

(لم يبـــق الآن إلا أفـــراد قلائل.. غوما ما زال يتلـــكأ مع معروف ويحـــاول أن يتسلـــل دون أن يوقـــع.. إشارة من أحمـــد قورجى إلى الحراس..ينقض الحراس فيعتقلون غوما ويضعون فى يده السلاسل.. يقفز قاسم ومعروف كالقطط من نافذة المسجد هاربين.. يفر من تبقى فى ذعر).

يظلم المسرح تدريجياً.

(حينمـــا يضىء المسرح نرى طريقاً يسير فيه طابور من الأهالى فى السلاسل يحف بهم الحراس... قاسم ومعروف فى ركن.. يوسف القره مالـلى يجلس متعباً على حجر.. المنظر كله تضيئه الفوانيس).

قاسم ـ (**مشيراً إلى الطابور**) ما تبقى من عائلة القره ماللى..

.. حـريم وأولاد وشباب وشيوخ وخدم وعبيد القره ماللیه يشحنون اليـوم بالبحـر إلى المنفـى.. لم يعف مـن هذا المصير سـوى الكهل الفانى (**مشيراً إلى يوسف**) الشيخ يوسف القره ماللى.

يوسف القره ماللى ـ (**يمسـح دموعه**) المـوت أهون يـا ربى.. الموت أهون (**يبكى**) حكمتك ربى.. حكمتك.. لا اعتراض.

معروف ـ مسكين شيخ يوسف (**ملتفتا إلى قاسم فى همس**) وإيه أخبار الإخوان.

قاسم ـ الثـورة مشتعلـة فـى فـزان ومصراتـه وجنـزور والجبـل والدواخـل والمصادمـات والاضطرابـات تقـع كل يـوم.. والغنائم من البنـادق والذخائر تتكدس.. والجيش التركى فشـل فى قمـع الاضطرابـات.. والسلطان فـى الآستانة ثار لفشـل الـوالى مصطفـى نجيب باشـا وأرسل فرمـان بعزله وتولية محمد رئيف مكانه.

معروف ـ محمد رئيف حاكم الدردنيل.. رجل شديد ملعون.

قاسم ـ نعـم ولكنـه بـدأ بالملاينـة والمصالحـة وأفرج عـن غوما كمحاولة لتهدئة القبائل الثائرة.

معروف ـ (**فى دهشة**) غوما خرج من السجن.. وين هو ؟

قاسم ـ طار على فرسه إلى مصراته ليقود الجحافل الثائرة هناك.

معروف ـ واحنا منتظرين ايش ؟

قاسم ـ سـوف أتلقـى رسالة اليوم مـن غوما بالتعليمـات.. هناك حشود تركية تجهز الآن فى طرابلس ويجب أن نستعد لها.

هذه المرة يجهزون لنا المدافع.. تصور.

معروف ـ يا خبر اسود.

قاسم ـ مالك ترتجف هكذا ؟.

معروف ـ لا.. ولا حاجه..

قاسم ـ سأمرنك لتكون طوبجى عظيم..

معروف ـ لا ياعم يفتح الله.. أنا راجع أبيع روبابيكيا زى ما كنت

(يديـــر ظهره منصرفاً.. ما يكاد يخطـــو خطوتين حتى تظهر شلة من عسكـــر الترك بأسلحتهم قادمة..فيعود مهرولاً لينكمش فى قاسم مغمغماً)طوبجى طوبجى.. زى بعضه أمرى لله.

(يسمع صوت دراويش ينشدون).

(يدخلون فى موكب يحملون الفوانيس والأعلام الملونة للطريقة الشاذلية ويتمايلون منشدين)

مولاى صلى وسلم دائماً أبداً على رسولك خير الخلق كلهم.

(أحد هؤلاء الدراويش يحتك لحظة بقاسم ويدس فى يده خطاباً.. يمضى الموكب وهو مايزال ينشد).

مولاى صلى وسلم دائماً أبداً على رسولك خير الخلق كلهم.

قاسم ـ (يفتـــح الخطاب بسرعة ويقرأ) القافلة تصل بعد نصف الليل.. عشرة جمال تحمل التمر والعجوة.

معروف ـ تمر ايه وعجوة ايه.. وده وقت عجوة يا أخى.

قاسم ـ اسكت يا معروف اعمل معروف.. (مستمرا فى القراءة)

أرجـو توزيـع التمـر علـى الإخوان فـى تاجورة والاحتفاظ بالعجوة بعيداً عن الرطوبة.

معروف ـــ (يضحك) وغداً بـإذن الله انتظروا حمولـة أخرى من البسبوسة.

قاســم ـ (مستمــراً فى القراءة) وبعد الفراغ مـن المهمة الرجاء الذهـاب إلى سوق البلح.

معروف ـ بلح ايه وعجوة ايه وتمر إيه..

قاسم ـ هـذه لغـة السيم يا فهيم.. التمر يعنـى البنادق والعجوة الذخيرة وسوق البلح هى القيادة فى مصراته.

معروف ـ يـا خبر اسود.. دى عجوة قطـران دى.. وحانشيلها فين العجوة دى ؟

قاســم ـ فـى دار ابـن منصور بعيداً عـن الساحـل ورطوبة البحـر (**مغمغمـاً**) خبطـة عظيمـة.. عشرة جمـال محملـة معناها خمسمائـة بندقيـة بذخيرتها.. معناهـا خمسمائة فارس من الخيالة العـرب.. معناها رأس حربة نضرب بهـا مؤخرة القوات التركية.. فكرة جهنمية.

معروف ـ غوما عفريت..

يوسف قره مالـلى ـ **الله** انصر عربى غلبان.

معروف ـ دلوقت بتفتكرنا لما بقيت معانا فى الهوا سوا..

قاسم ـ وفى الكرابيج سوا..

يوسف قره مالـلى ـ حكمتك ربى .. لا اعتراض..

قاسم ـ حكمته كبيرة **الله** شيخ يوسف..

يوسف قره مالـلى ـ **الله** كبير منتقم..

معروف ـ يأخـذ بتـار الغلابـة اللـى زيـى واللـى زيـك.. آمـين..
الفـاتحـة على رأس الكافرين.. بسم **الله** الرحمن الرحيم

(**يبدأ يتمتم الفاتحة**)

قاسم ـ ايه انت ناوى توزع البنادق على الملايكة يحاربوا لك ؟

معروف ـ يـا ريـت يحاربـوا بدالنـا ويكفونـا شـر المدافـع وشر الطوبجى والباش طوبجى يا لطيف.

قاسم ـ وتنام وتفتح عينك تلاقى نفسك خليفة.

معروف ـــ تمام خليفـة آل عثمـان وخاقـان البريـن والبحرين معروف بن عون بن رحاب بن طوق بن وشاح بن سطيح بن كلاب.. يا سلام.. يا حلاوة يا اولاد.

(**عيناه تحلمان بعرش الخلافة**).

(**قاسم يلوى آذنه بعنف**).

معروف ـ (**يفيق فجأة**) آى...

قاسم ـ إلى العمل نفر طوبجى.. لا وقت للأحلام. البنادق والذخيرة يجب أن تصل إلى أصحابها ، إلى العمل.

(**يظلم المسرح تدريجياً**)..

المشهد الآن غروب.. فى مقر القيادة فى مصراته.

مضارب خيام تبدو من بعيد فى الصحراء.

فـــى الخلفية نيران معركـــة وغبار وأصوات ومدافـــع وخيول تكر وتفر.

وفى المقدمة خيمـــة كبيرة تحتل نصف المسرح.. الخيمة مفروشة بالسجـــاد العربى والأكلمـــة وفيها حشايا للجلوســن مصطفة حول موائد.. سقف الخيمة تتدلى منه قناديل عربية.

على بُعد مـــن الخيمة فى الصحراء يقف بعض الاسرى الاتراك فى السلاســـل ونرى أكداساً من البنادق ومدفعـــاً مكسوراً إلى جانب هذه الغنائم أكياس الدقيق ، وصنوف من التموين غنمت هى الأخرى. نرى عبـــد الجليل علـــى حصانه قادماً من الخلفية وقـــد ربط إلى حصانه مدفعاً ثانياً غنمه.

غوما واقف بجـــوار الخيمة يرسم بعصاه خطوطـــاً على الرمال ، يحـــدد بها تحـــركات الأجنحة المهاجمة ويشرح لهيئـــة قيادته هذه التحركات.

قاسم ـ (يصفق لعبد الجليل) عفارم عبد الجليل.

فارس مـــن القيادة ـ لقد نجح الالتفاف المفاجـــىء وفرَّت القوات التركية مذعورة تاركة مدافعها..

غوما ـ (فى صوت منخفض) يجب ألا نتوقف عن الحركة.

إن الارتباك الكامل هو فرصتنا.. يجب أن نختفى لنظهر.. ونتفرق حتى تبتلعنا الصحراء ثم نخرج فجأة وكأننا الجن ننحدر من كل الجهـات فى وقت واحـد وكأننا موجودون فى كل مـكان.. وكأننا مزروعون فى هذه الصحارى مثل الشوك لا قبل لأحد بانتزاعنا.

(عبد الجليل يصل إلى المقدمة ويترجل عن حصانه).

عبـــد الجليل ـ القـوات التركيـة قد أخلـت المنطقة وفـرَّت تماماً وتركت قتلاها.

غومـــا ـ فليذهـب بعضـ الفرســان لإغاثــة المحتضريــن ونجدة الجرحــى (**يمضى بعض الفرســان إلى الخلفية**).. فكوا وثاق الأسرى وقدموا لهم الطعام.. أين معروف ؟

(**عبــد الجليــل يفــك وثــاق الأســرى.. نــرى معروف خارجاً من إحدى الخيام يحمل طعاماً**)..

غوما ـ لقد أثبت معروف أنه يستطيع أن يكون طباخاً ماهراً.

معــروف ـ (**يــوزع الطعام علــى الأســرى**) كل اطفــح اتسمم افندم.. املأ كرشك افندم..

غوما ـ المعاملة بالحسنى يا معروف.

معروف ـ (**فى غيظ**) طيب يا سيدى اطفح بالهنا والشفا.

معروف ـ (يوزع الطعام على الأسرى ثم يقودهم إلى مكان خلف الخيمة).

اتفضلوا على المطعم الشعبى .. على تكية معروف آغا (يختفون عن الأنظار خلف الخيمة).

عبــد الجليــل ـــ يجـب أن تأخـذ قسطـاً مـن الراحــة يـا غوما.. أنت لم تنم طوال البارحة.

غومــا ـــ لا داعــى للعجلــة.. المــوت ســوف يعطينــا كفايتنا من النوم وزيادة.

عبد الجليل ـ لقد أعطيت للجند نوبة راحة.

غوما ـ أفضل أن أسهر مع الحراس.. فى مثل هذه الليالى المقمرة يحلو لى أن أحلم بعينين مفتوحتين مع القمر..

عبد الجليل ـ هذا شعر..

غوما ـ وهل الفروسية إلا شعر.. وأن الفارس إذا فقد قلب الشاعر لم يبق منه إلا الجزار والسفاح والقاتل.. ونحن لسنا قتلة يا عبد الجليل نحن عشاق أحببنا بلادنا لدرجة الموت .

(يرى قاسم مقبلاً من الخلفية).

قاسم ـ (مقبلاً) ما أكثر الجرحى.. إن النخيل سوف يرتوى دماً هذه الليلة.

عبد الجليل ـ سوف تكون ضربة الانتقام رهيبة وربما جاءتنا على غرَّة.

قاسم ـ ما كان يجب أن نترك الفلول المنسحبة تهرب دون أن نجهز عليها.

غوما ـ نحن فى حاجة إلى فرصة لالتقاط الأنفاس.

قاسم ـ سوف يستفيدون هم من هذه الفرصة أكثر منا.

غوما ـ إن قواتنا المرابطة فى طريق طرابلس لن تمنحهم هذه الفرصة.. أن الخطة هى أن نستبدل الحرب الواحدة بعدة حروب فى عدة أماكن فى وقت واحد وعدة ضربات فى وقت واحد فيخيل لأعدائنا أن

لدينا من الجنود بعدد ما لدينا من حبات الرمال.

عبد الجليل ـ ستكون حرباً طويلة.

غومـــا ـ إن عندنـا عمق الصحـراء بكل مـا فيها من مـدد بشرى وإمكانيات للضرب والاختفاء وإذا شددنا عليهم النكير فلن يبقى لهم إلا شريط رفيع على الساحل.

عبد الجليل ـ وسوف يكلفهم الاحتفاظ بهذا الساحل الكثير.

(صوت أقدام.. أحد الحراس يأتى جرياً من الخلفية)..

الحارس ـ رسـول من الوالى يرفـع الراية البيضـاء ويطلب مقابلة غوما للمفاوضة.

غومـــا ـ ادخلـه..

قاسم ـ (فى عنف) نحن لا نقبل مفاوضة.. لا تُدخل أحداً..

غوما ـ (فى حدة) قاسم...

قاسم ـ ليس لدينا ما نقوله للأتراك سوى الحرب حتى آخر جندى

غومـــا ـ نحن نحارب الامبراطورية العثمانية ، والسلاح وحده لا يجدى.. لابد من السياسة.

قاسم ـ هذا تسليم..

غومـــا ـ نحـن لا نحـارب للحرب وإنما لنـا مطالـب . وأى فرصة للحوار يمكن أن تكون مكسباً .

قاسم ـ نحن منتصرون فلماذا نمد يدنا إلى مفاوضة.

غوما ـ إذا حققنا مكسباً على مائدة المفاوضة فلن يكون انتصارنا قد ذهب هباء.

قاسم ـ هذه خدعة.

غوما ـــ لسنا وحوشاً فى غابة لا نملك ما نتخاطب به سوى المخلب والناب ، هذه بربرية وليست عسكرية.

عبد الجليل ـ غوما على حق.. يجب أن نستمع ولا نصادر أى فرصة للتفاهم .

قاسم ـ هذه خيانة للمبدأ.

غوما ـ أى مبدأ.. ليس مبدأنا أن نقتل.. لسنا قطاع طرق..نحن ثوار.

قاسم ـــ إنه استدراج لوثبة غادرة فيما بعد.. أنا أعرف..هذه طباعهم.

غوما ـ لن نخسر شيئا (يربت على كتفه) لا تدع الحماس يجرفك.. إن الحروب لا تكسب بالأذرع وحدها ولكن بالحكمة والخبرة... إنك أصغر سناً مما يجب.. سوف تتعلم الكثير.. تعال (للحارس) أدع الرسول (متجهاً إلى الخيمة) وادع ضباط قيادتنا أيضاً.. ومشايخ القبائل الذين يحاربون معنا.

(يدخل الخيمة ومن ورائه قاسم وعبد الجليل.. ومن بعدهما تأتى بقية الفرسان وعدد من مشايخ القبائل.. ثم يدخل الحارس ومعه مندوب الوالى أحمد قورجى فى وفد من الأتراك).

أحمد قورجى ـ سلام عرب أكارم سلام..

اصوات ـ عليكم السلام ورحمة **الله** وبركاته.

أحمد قورجى ـ الـوالى يبلغكـم تحيـات مبـاركات ويمد يـده إلى إخـوان عـرب ويعطيكم كلمـة أمان ويقـول لكم لا بـد من توقيف حروب.. عربـى مسلم يحارب تركى مسلـم يـوك.. اسلام يحضـ على السـلام ، عربى تركـى يد واحدة فى حرب على الكفار افندم.. مش نحارب بعض .

غومـا ـ الوالى محمد رئيـف باشا رفع الضرائـب وطرد الموظفين العـرب من ديوان الحكومـة.. وأعمل التقتيل فى الأبريـاء بحجة أنهم ضالعـون مع الثـورة.. هل هذه تعاليم إسـلام ؟ سيد قورجى لا جدوى من التفاوض مع الوالى .

أحمد قورجى ـ (**يضحك**) الوالى محمد رئيـف والى يوك..سلطان أصدر فرمان يعـزل والى.. سلطان **الله** نشكر صديق كبـير للعرب يعزل نجيب باشـا لإرضاء عرب يعزل محمد رئيف باشا لإرضاء عرب.. سلطان يحب عرب كثـير.. الوالى الجديـد صديق مخلص كثـير لعرب.. طاهر باشا والى جديد.. اختيار سديد.. **الله** يوفق.

(تدور القهوة العربية يحمل إبريقها معروف.. يقدم معروف القهوة إلى قورجى والى الأتراك فى شماتة)

أحمد قورجى ـ (**يرشف القهـوة محدثاَ غوما**) أول أمر لوالى

جديـد صلـح على غومـا شيخ المحاميـد.. شيخ
عربان وفارس الفرسان.. الاستماع إلى شكايات
غوما ، مطالب غوما ، شروط عرب أكارم اخوان
عشان توقيف قتال وحقن دماء.

غوما ـ شروطنا هى تخفيض الضرائب وإدخال العرب فى وظائف الدولـة وقيادات الجيش وإلغاء امتيازات الأتراك وإعفاءات الأتـراك والإفراج عن المسجونين والمسـاواة أمام القانون بين الأتراك والعرب.

احد المشايخ ـ نحن لا نريد إلا تطبيق الإسلام.. العدالة والمساواة.. لا فضل لتركى على عربى الا بالتقوى.

أحمد قورجى ـ كلام معقول افندم.. كلام نافذ افندم.. وهذا مرسوم حضـرة والى (**يفتح لفافة المرسوم الذى يحمله**) بتخفيض ضرائب وإلغاء ضريبة الأشجار وإعادة الموظفين العـرب المطرودين إلى دواوين حكومة.. وتعيـين غوما مديراً علـى منطقة الغريـان وتسليم الأسرى العرب والإفراج عن مساجين عرب.

أصوات المشايخ ـ عظيم.. عظيم..

أحمد قورجى ـ بشرط إفراج عن أسرى أتراك فى حيازتكم.. وإعادة السلاح والذخيرة والمدافع وكافة الغنائم من سلع التموين وأدوات الحرب إلى حضرة والى..

(لحظـــة صمت.. هنـاك شكـــوك فى الجو.. المشايـــخ يميلون على بعضهم يتهامسون).

أحمد قورجى ـ لابـد من معاملة بالمثل افنـدم ، نحن نعطى كلمة أمان.. عرب يعطى أمان.. مفهوم افندم.

أصوات ـ معه حق..

ـ نوافق..

ـ لا نوافق..

ـ هذه خدعة..

ـ لا نرد السلاح..

ـ نرد السلاح..

ـ لن نخسر شيئاً..

ـ الأتراك لا عهد لهم..

ـ الأتراك غدارون..

ـ لا نستطيع أن نرفض يداً ممدودة بالسلام.

الأصـــوات تختلط ـ لا حل سوى الحـرب حتى يخـرج آخر جندى تركى.

ـ هذه شروط معقولة.

ـ ليس من الصالح أن ينقسم المسلمون.

ـ أنا أقبل..

ـ أنا أرفض..

ـ هذا استسلام..

ـ الرأى لغوما ..

ـ لنسمع ما يقوله غوما..

غوما ـ (**فى هدوء**) أنا أقبل الاتفاق..

قاسم ـ (**صارخاً**) غوما..

غوما ـ إن العرض عرض شريف وبداية طيبة للتفاهم..

قاسم ـ ولكن هذه محض وعود..

غوما ـ لابد أن نبدأ بالنوايا الحسنة... ولا نفترض سوء الطوية بلا بينة..

أصوات ـ الرأى ما يرى غوما..

الرأى ما يرى غوما..

وشوشات غير واضحة.. البعض غير مستريح..

غوما ـ نحن لا نحارب لنقتل ولكنا نحارب لإحقاق العدل والمساواة ولنرى العهد الذى لا تفرقة فيه بين عربى وتركى وعلينا أن نرحب بأى خطوة تؤدى بنا إلى هذا الهدف.

كثرة من الأصوات ـ معقول..

غوما ـ ما رأيكم..

كثرة من الأصوات ـ نوافق..

أحمد قورجى ـ مـبروك.. مـبروك.. نشرب شربـات.. ونوقـع اتفاقات..

(يبسط المرسوم ويعطى القلم لغوما)

مبروك غوما.

منصب عظيم لسيادتكم.. مدير كبير لمنطقة غريان

تعظيمات سلام سلام لحضرتكم.

(تتعاقب توقيعات الضباط والمشايخ.. ويدور معروف بالشريات.. صوت زغاريد فى الخارج.. أصوات بنادق تطلق فى الهواء ابتهاجاً)

أحمـــد قورجى ـ **(فى سعادة)** ابتهاجات ، أفراح ، أعياد.. نخرج نشارك البدو فى الفرح بالسلام..

ظـلام الصحراء خارج الخيمة تضيئـه شعلات يحملها البدو الذين أقبلوا على أخبار الهدنة والصلح وتوقيف الحرب بين العرب والأتراك.. الخيمة تظلم الآن وقد خرج الكل إلى الصحراء .

(فـــى الخارج على ضـــوء المشاعل رقص عربـــان وزغاريد وطبل ورقص خيـــل وضرب بنادق فى الهواء وأحمـــد قورجى يرقص.. صوت الرصاص لا ينقطع)..

(فجـــأة يضع قورجى يـــده على صدره صارخاً ـــ آى.. صدرى..

صدرى.. عربى غدار (يسقط قورجى على الأرض يتلوى)..

عربى خاين مالوش أمان.. أمان ربى)..

يموت..

ستار

الفصل الثانى

(طريق فى مدينة طرابلس.. ليل.. الفوانيس تضىء الطريق.. بعض الباعة يفترشون الأرضـــ ببضائعهم ويعرضون صنوفاً من الغزل والسجاجيـــد والاكلمة والمسابح والعطـــور والمكاحل ... اسكافى يرقع الأحذية.. حداد يصنع حداوى الخيول.. بائع فخار يبيع قللاً وأباريق وأوانى فخارية)

(نرى بدوياً على ظهـــره مخلاة يقطع الطريق وهو يغنى بصوت حزين.. يتحلق الناس حوله) :

لى زمان يا خال وانا باطوى البوادى طى.
الجلب عطشان وعطش الجلب ماله رى
اسود ضلام الليل يا خال ما فيه ريحة ضى .
هين ضلام الليل يا خال لكن ضلام الجلوب .
ضلام ما بعده شى..
آى... ندمان يا جلبى..

(نسمـــع وقع أحذيـــة جنود.. ثم تظهر ثلة مـــن الجند من سنجق الوالى يهاجمون الأهالى بالكرابيج).

أصـــوات جنود ـ ما بتفهـم تعليمات والى.. ممنـوع تجمعات فى الطرقات.. ممنوع تظاهرات .

الحداد ـ احنا واقفين فى حالنا.. احنا عملنا حاجة ؟.

جندى ـ حداد مجرم رئيس عصابات..

جندى آخر ـ بتصنع سيوف.. بتعمل سلاح ضد والى.. مجرم.

الحداد ـ أنا باعمل حداوى خيل.. سلاح إيه وسيوف إيه ؟

الجندى ـ كذاب رئيس عصابات بتصنع سيوف..

(معركـــة بين الحداد والجنود ، الجنود يعتقلون الحداد واثنين مـــن الشباب فى دكانه... الجنـــود يمسكون بتلابيب عجوز يمشى الهوينا فى الطريق)..

العجوز ـ (فى فزع) الله.. الله.. لا حول ولا قوة إلا بالله .. ايه، فيه إيه ؟.

جندى ـ عربى غدار.

العجوز ـ أنا. راجل عاجز على باب الله..

الجندى ـ عربى خاين

العجوز ـ أنا رجل دين..

(اثنين من الشبان ينتزعان العجوز من يد الجنود).

أصوات ـ يا ظالمين يا كفار ..

ـ تضربون أعمى ضريراً..

ـ قتلـة..

ـ آى..

ـ عربى مجرم ..

ـ على كل جبار يا رب..

ـ عصابات قطاع طرقات..

ـ لابد من تأديب..

ـ على السجن..

(يعتقلـــون الشبـــان الاثنين بينما يفر البـاقـــون.. يمضى الجنود يجرجرون المعتقلين ولا يبقى على المسرح الا الشيخ الضرير مكوماً على الأرض.. نسمع صوت البدوى يغنى من بعيد)

(لا تبـــك ع اللى راح يا خال دور علـــى اللى جاى ..لا تنوح على اللى مات يا خال اشفق على اللى حى.. ده الكل فانى ولا يبقى سواه الحى آى.. ندمان.. يا جلبى)

(نرى أحد البراميل الملقاة على الطريق يهتز ثم يخرج منه معروف حيـث كان مختبئـاً.. يخرج رأسه فى البدايـة ويتلفت ثم يخرج جسده ثم يقفز إلى الطريق فى خفة القط)..

معروف ـ يا ساتر يا رب.. أعوذ بالله (فى إشفاق) شيخ منصور.. مالك ؟.

(يذهب إلى الشيخ الضريـــر ويرفعه من مكانه ويقوده إلى دكان الاسكافى).

معروف ـ تعال يا شيخ منصور.. **الله** يجازى الكفرة.

(**يملأ كوز ماء من الزير ويسقيه**).

معروف ـ منهم **لله**..

الشيخ ـ أهذا يرضيك يا رب أن يهان رجال الدين..

معروف ـ لكل شيء نهاية.. الصبر طيب..

الشيخ ـ لا بد من كتابة شكوى إلى السلطان ..

معروف ـ وهو فين السلطان ده بيننا وبينه بحور ؟.

الشيخ ـ إذن نكتب لولى الأمر.. نكتب للوالى نجيب باشا.

معروف ـ صح النوم يا شيخ منصور.. نجيب باشا اتشلح من زمان واصبح فى خبر كان.. السلطان اصدر فرماناً بعزل نجيب باشا وتولية رئيف باشا وبعدين فرماناً بعزل رئيف باشا وتولية طاهر باشا وبعدين فرماناً بعزل طاهر باشا وتولية حسن الجشمه للى وبعدين فرماناً بعزل حسن الجشمه للى وتولية عشقر.. ونحن الآن فى عهد عشقر.. الظلم اليوم اسمه عشقر.. وعشقر فى القلعة يسكر ويتعاطى المنكر.. تحب نكتب عريضة إلى عشقر فعشقر جالس يسكر فى مدغشقر..

الشيخ ـ (يضحك) دمك خفيف يا معروف.. أضحكتنى يا شيخ..

معروف ـ شر البلية ما يضحك..

الشيخ ـ والله البلد فى بلاء عظيم وما العمل ؟

ـ ليس العمل أن نكتب شكاوى يا شيخ.. العمل أن نحارب..

ـ وضرير مثلى كيف يحارب ؟.

ـ تخرج من عزلتك يا شيخ.. أنت رجل دين لك مكانتك فى القلوب.. وعزلتـك بعيـداً فى تونس تؤلف وتكتب التفاسـير والشروح الدينية لا جـدوى منها.. أنت تدخل فـى كل بيت وكلمتك مسموعـة وتستطيع أن تجعل من كل بيت خلية ثورية وثكنة عسكرية.

(صوت رصاص وطلقات بنادق..يدخل معروف ومعه الشيخ منصور فى دكان الإسكافى ثم يختفيان فى سرداب.. صوت الطلقات يقترب ومعها أقدام مهرولة.. نرى عربياً يحمل بندقية ويطلق النار خلفه ثـم أصوات أرجل تطارده ومعها صيحـات تقترب.. العربى يدخل دكان الإسكافـى ويختفى فـى نفس السرداب.. يظهـر على رأس الطريـق جنود تـرك يحملون البنادق.. مـا زال الدخان يخرج من فوهات البنادق... الجنود الترك يتلفتون).

ـ عربى شيطان ..

(أصوات طلقـات رصاص فى جهة أخـرى.. ينطلق الجنود الترك مهرولـين نحوها ويختفون من المسرح.. تمضـى لحظات ثم يخرج الثلاثـة رؤوسهم معروف والشيخ والمجاهـد العربى ثم يقفون فى حذر إلى جوار الباب).

المجاهد العربى ـ الثورة فى كل مكان.. الرصاص ينطلق من بيت لبيت.. سبعون شيخاً شنقوا فى الميدان الكبير.

الشيخ ـ لا حول ولا قوة الا بالله..

المجاهد الكبير ـ وعبد الجليل قبض عليه وقتل.

معروف ـ لا اله الا الله.. خسارة لا تعوض.

المجاهـــد الكبير ـ الـوالى التركى فى حالة جنـون بسبب مـا فعله غومـا فى معركة الهيرة.. غنائم وأسرى وقتلى أتراك بالمئات.. الوالى يشعر أنه مهدد بالعزل..

معروف ـ زمان السلطان بيكتب الفرمان.

(أصوات طلقات.. يختفى الثلاثة.. الطلقات مستمرة)..

(يظلم المسرح تدريجياً)..

(قصـــر الوالى عشقر فى القلعة.. ليـــل... بهو على الطراز العربى بسجاجيد عجمية.. أثـــاث فاخر ، ثريات تتلألأ.. تماثيل.. تحف حراس على الأبواب شاكو السلاح.. عشقر.. يداه خلف ظهره يروح ويجىء فى عصبية كأسد حبيس فى قفصه ويبرطم بين حين وآخر)

عشقر ـ (يبرطم) غوما .. (يروح ويجىء ثم يبرطم)

غوما.. (يروح ويجىء) غوما.. (يروح ويجىء ثم يصرخ فجأة):

ـ فريق أركان بكر بك.. يحضر حالاً..

(ينطلـــق الحارس.. ثـــم تمضى لحظة ويدخل بكـــر بك فى خطوة عسكريـــة .. ينقض الوالى عشقر عليه ويمسكه من كتفيه ويصرخ فى ثورة) :

عشقر ـ أنـا قلـت لازم جيـب رأس غومـا.. لازم جيـب رأس غوما حضرة فريق بكر بك..

بكر بك ـ ممكن جيب رأس غوما.. لكن مش بالحرب حضرة والى.. كل الشعـب مـع غومـا.. الجيش مش ممكـن حارب فى كل بيـت.. لازم نشوف طريقة ثانى.

عشقر ـ إزاى فريق بكر بك.. نعمل حجاب فريق بكر بك ؟

بكـــر بك ـ لا حضـرة والى ـ فيه فرصة ذهبيـة حضرة والى.. فيه خلاف فى قيادة الثورة بين قاسم وغوما.. خلاف شديد على السلطة.

(عشقر يزوم فى فرحة خبيثة).

بكر بك ـ أثنـاء مفاوضات مع أحمد قورجى غوما أمسك منصب مديـر.. قاسم محمـودى اتجن إزاى غومـا امسك منصب مديـر وهـو يـوك .. قاسم اضـرب قورجـى بالرصاص عشان فشكل فوضات..

عشقر ـ قاسـم هـو اللى اضـرب قورجى بـك بالرصاص (يزوم فـى خبث ويفكـر ثم يرد فى ذكاء) فـى داهية قورجى.. قاسم ياخد منصب كبير فريق بكر بك.. قاسم يبقى نائب والى.. مفاوضـات مع قاسـم فارس فرسان وشيخ عربان

احنـا نوسع خلافات ونوقـع فتنات.. نضرب رأس قاسم محمودى برأس غوما محمودى نخلص من عيلة محمودى ومـن قبيلـة محاميد ومن العـرب كلهم.. عفـارم بكر بك.. عفارم.

بكـــر بك ـ نبعث رسل عـرب ثقـات إلى قاسم.. نعطى كلمـة أمان.. ودعـوة لمقابلة حضرة والى فى السراى عشـان مفاوضات واتفاقات وإنعامات.

عشقر ـ خطة تمام بكر بك ، خطة تمام.. تنفيذ حالاً..

(بكر بك يؤدى التحية العسكرية وينصرف.. الوالى يروح ويجىء فى عصبية وهو يغمغم مبتسماً بين وقت وآخر).. غوما.. غوما..

فجأة يصفق ـ والآن تسليات ورقصات.. وإصلاح مزاجات.

يصيح ـ سعادات هـانم..

(يختفـــى الحارس لحظة.. ثم يدخل تخـــت شرقى وفرقة راقصات ومغنيات على رأسها سعادات هانم.. توضع مائدة شراب.. يبدأ عشقر فى غناء توشيح تركى بصوته القبيح ويتمايل مع النبرات.. سعادات تشرع فى الغناء معه.. يبدأ فى الرقص مع فتيات الفرقة الصغيرات الجميلات.. قبلات وضحكات وقرصـــ وغمز ولمز.. ما زال الوالى يغنى.. يجلســـ إلى مائدة الشـــراب.. يشترك التخت والكورس فـــى التوشيح.. لحظات حظ وفرفشة).

عشقر ـ (وهو يرفع الكأس يغمغم فى شرود وكأنه يتخيل شبحاً بداخل الكأس) ـ لازم جيب رأس غوما.

سعادات هانم ـ (فى دهشة) غوما..

عشقر ـ أى نعم ، غوما..

(ينفجـــر ضاحكاً غير عابىء بدهشة سعـــادات ويعود إلى الغناء بصوته القبيـــح وإلى التمايل مع النغم.. يرتفع صوت الكورس وترن الصاجات فى أيدى الراقصات).

يظلم المسرح تدريجياً..

(فـــى الجبل.. نهار.. معسكـــر قوات غوما.. يسمـــع صوت طلقات رصاصـــ من بعيد.. قاسم وغوما وجهـــا لوجه وحدهما.. غوما يذرع المكان فى حركة سريعة مضطربة ثم يتوقف لينفجر فى ثورة).

غوما ـ إذن فأنت التقيت بالوالى..

قاسم ـ (فى برود) نعم ..

غوما ـ نعم.. وماذا بعد ؟!

قاسم ـ (بنفس البرود) كان لقاء ومفاوضات.

غوما ـ كان لقاء ومفاوضات ؟!

قاســـم ـ أنت لست ضد مبدأ المفاوضات على ما أعلم وقد سبق أن وقعـت معاهدة مع نائب الوالى بالتنازل عـن الثورة فى سبيل وظيفة مدير منطقة الجبل.

غوما ـ (يصرخ) أنا لم أتنازل عن الثورة ، ولم أقبل المعاهدة الا لعلمى أنها ستكون وسيلة للاستمرار فى الثورة.

قاسم ـ استمرار فى الثورة كيف ؟

غوما ـ كان شرطـا فـى المعاهـدة أن يدخـل العـرب ضباطـاً فى الجيش التركى مساواة بالأتراك فى الرتب والنياشين.

قاسم ـ (ساخراً) وهذا هو منتهى الثورة فيما يبدو.

غوما ـ لا وسيلة إلى هدم البناء إلا بالتسلل إلى داخله.

قاسم ـ وإذا لم يهدمه هؤلاء الذين تسللوا إلى داخله.. إذا أصبحوا تركاً بدلاً من أن يجعلوا الترك عرباً ؟.

غوما ـ لن يكون هذا ذنبى.

قاسم ـ من الطبيعـى أن يكون هذا تفكير رجل يعمل ابنه ضابطاً فى الجيش التركى فى اسطنبول.

غوما ـ (يصرخ) إن ابنى ضابط فى الجيش التركى ولكن ابنى الآخر فى جيش الثوار (يصرخ) وقد قتل البارحة فى معركة الغريان.. قتل.

قاسم ـ قتل فى جبهة الثـوار وابنك الآخر يحارب فى جبهة القتلة مع السفاحين.. إنى لا أفهمك.. أنت بدوى مجنون.

غوما ـ ربمـا كنت مجنونا.. ولكن الظـروف التى نحارب فيها هى الجنـون بعينـه.. إننا بدو حفـاة نحـارب امبراطورية.. ولا

يمكـن أن ننتصر بدون الحيلـة والسياسة.. يـد تصافح ويد تطعن فى الظهر

قاسم ـ ما يثيرنى أنى أراك وأنت تصافح فأشعر أنك تصافح بكل شهامـة البدوى وبساطتـه وحماقته.. بلا خدعة... أنـت لم تكن تخدع أحمـد قورجى حينما وقعت المعاهدة أنت كنت تخدع نفسك يا غوما.. كان طمعك فى الوظيفة يزين لك هذه المثاليات الكاذبة.

غوما ـ ظلمت ولائى يا قاسم..

قاســم ـ إذن فأنـا لا أفهمك.. لا أفهمـك.. أحياناً يخيـل إلىَّ أن ما تطمـع فيه هو ركن هـادىء تحت شجرة تقرض الشعـر وتتأمل القمر وأنـك تحـارب لتلتمس هذه اللحظات من السـلام.. ولهذا ترحب بهدنة أى هدنـة.. وصلـح أى صلح لأنك لست محارباً.. ولم تكن محارباً أبداً.. وإنمـا أنت رجـل حالم.. ولكنـى أراك حينما يستعر القتـال فلا أصدق عينى.

غوما ـ ولا أنا .

قاســم ـ وكأنما تصبح رجلاً آخر (فى حـيرة) ولكن إذا كنت هذا الوحش الضارى. فلماذا تمد يدك إلى أعدائك ؟..

غوما ـ إنـى لا أختصم مع أشخاص ، ولو كانـت طرابلس العربية يحكمهـا عربى ظالم لثرت عليه بمثل ما أثور على التركى.. إنما الظلم هـو مـا أثور عليه وليس الحاكم.. فإذا امتدت يد بعدالة فأنا دائماً أول من يصافحها لا يهم من أى جنسية هذه اليد..

قاســم ـــ (حائــراً) ولكـن العـالم مـا زال ينقسـم إلى جنسيات وعصبيـات.. لم يأت الوقت بعـد لنتصافح بكل هذه النية الحسنة.. إنها لسذاجـة (فـى ارتياب) أو ربما خبث منتهـى الخبث من رجل وصولى يعرف كيف يغلف أغراضه بمهارة.

غوما ـ الله يعلم الحقيقة وهذا يكفينى..

قاسم ـ حسناً..

غوما ـ علام عولت ؟..

قاسم ـ سوف أطبق مذهبك..

غوما ـ مذهبى ؟!

قاسم ـ سوف أنضم إلى الجيش التركى..

غوما ـ (**ينتفض**) تنضم إلى الجيش التركى.. كيف ؟!

قاسم ـ سوف أكون نائباً للوالى..

غوما ـ مستحيل

قاسم ـ ولماذا مستحيل ؟.

غوما ـ هذه خيانة..

قاســم ـ إن ابنك الضابط فـى اسطنبول ليس خائناً..وأنت لم تكن خائناً حينما قبلت وظيفة مدير منطقة الجبل فى الديوان التركى.

غوما ـ كان هذا بشروط..

قاسم ـ أنـا أيضاً سوف تكون لى نفس الشروط.. سوف أدخل إلى الامبراطوريـة وأقوضهـا من الداخل..سـوف أكون عوناً لكـم جميعاً.. سوف أعجل بالنهاية..

غوما ـ ولكنها هى قد تقوضك أنت.. قد تعجل بنهايتك.؟

قاسم ـ ولماذا لم تسأل نفسك هذا السؤال ؟

غوما ـ لأنـى أعلم أنى أقوى من الامبراطوريـة العثمانية..وأعلم أنك أضعف من أضعف جنودى بكثير.

قاسم ـ ألم أقل إنك رجل مجنون يا غوما.

غوما ـ مجنون.. نعم.. ولكنك تعلم أنى على صواب..

(صوت الرصاص يرتفع.. صوت طلقات مدافع من بعيد).

غومـا ـ **(فى حزن)** إنهم يقتربون.. (ينظـر إلى قاسم) لا أصدق إننا سوف نحارب تحت رايتين مختلفتين.

قاسـم ـ بل هى راية العرب واحدة.. رايـة العرب وحدها.. لماذا لا تثق فىّ؟

غوما ـ بل أخشى عليك.. أخشى عليك من نفسك.

قاسـم ـ ألم تقل أننـا عرب حفاة نحـارب امبراطوريـة.. وإننا لن ننتصـر إلا بالحيلـة.. باليـد التى تصافـح وتطعن فى الظهـر.. سوف أكون أنا اليد التى تصافح وتطعن فى الظهر.

غوما ـ (فى صوت شـــارد يكلم نفسه).. تصافح من وتطعن من ؟..
هذا هو السؤال !!

(طلقات المدافع تقترب).

غوما ـ (مازال شارداً) إنهم يقتربون..

قاسم ـ وداعاً يا غوما..

غوما ـ (فى حزن) وداعاً..

(صوت المدافع يقصف ويصم الآذان).

(يظلم المسرح تدريجياً).

(ديوان حكومة.. نهار.. غرفـــة واسعة مفروشة بالطنافس.. مكتب نائب الـــوالى حيث يجلس قاســـم مع اللواء التركـــى.. جلود غزلان ووحوش وقرون وبنادق منقوشة بالفضة معلقة على الحائط).

اللواء التركى ـ (يتمشى فى عصبية) .. معركة أخرى خاسرة فـى وادى العجيـلات وزواره.. عشرات من الجرحـى والقتلى.. لا بد مـن عمل سريـع .. لابد مـن تجهيز حملـة إلى الجبل مـزودة بالمدافع والفرسان للقضاء على غوما.. السلطان فى الآستانة ثائر جداً.

قاســم غومـا لا يمكـن القضـاء عليـه بالمدافـع **(بعد لحظات صمـــت)**هنـاكوسائـلأخـرىللقضـاءعلـىغومـا.

اللواء ـ وسائل أخرى ؟

قاسم ـ اسمح لى بدعوة الدفتردار لحضور الاجتماع.

اللواء ـ اتفضل أفندم..

(قاسم يرن جرساً أمامه فيدخل حاجب).

قاسم ـ الدفتردار حالاً..

قاسم ـ (يلتفت إلى اللواء التركى)لا بد من إصلاحات فى الجهاز الإدارى.. لابد من نظام محكم.. لابد من ضبط وربط.

(يدخل الدفتردار).

اللـــواء التركى ـ (يرد على قاسم) هنـــاك إصلاحات عظيمة تمت علـى يدنا افندم.. ترميم قلاع.. بناء أبراج.. إنشاء قصر للحكومة فى الدواخل وقصر آخر للحكومة فى أبو نجيم..

وهناك مشروع بناء حى المجيدية.

قاسم ـ (فى هدوء) أنا أقصد إصلاحات فى الجهاز الادارى.. فى الضبط والربط.. دفتردار عنده مشروع عظيم.. اتفضل عزمى بك.

نقر دار ـ أنا قدمت مشروع بإنشاء نظام تذاكر وهويات وجوازات وأرشيف خاص لإدراج المواليد والوفيات وبيانات بكل السكان .

اللـــواء التركى ـ (فـــى دهشة) ده وقت حمـــلات وتجهيزات أفندم.. مش وقت بيانات وهويات وإدراج مواليد ووفيات.

قاسم ـ البيانـــات والهويـــات معناها تسهيل تفتيش واعتقالات ومراقبـــات.. ومعناها كل سكان طرابلس داخل دوسيه تحت يد شرطة والى.

دفتردار ـ وهى أيضاً مصادر دخل وضرائب غير منظورة افندم.

(**لحظة صمت وتفكير يعود اللوء التركى فينفجر**) :

اللواء ـ غوما على بُعْد ١٥ كيلو متراً من العاصمة.. حضرة والى أمر باعتقال محمد الشلابى زعيم طرابلس ونفيه واعتقالات.. اعتقالات.. ما فائدة اعتقالات ؟

قاســم ـ اعتقال زعيم خطأ كبير حضرة لواء.. أحسن طريقة لمقاومة زعيم هو منحه وسام وترقية.

اللواء التركى ـ (**يضحك فى عصبية**) وتعيينه بفرمان حاكم على طرابلس (**يضحك**) أنت تضحك أفندم.

قاســم ـ أنا لا أضحك حضرة لواء.. القضاء على غوما لا يكون بمحاربته ولكن بمنحه إنعامات ورتب ونيشانات ومنصب كبير.. أرخص طريقة للقضاء على الثوار تحويلهم إلى موظفين.

اللـــواء التركى ـ أنت تضحك أفندم.. معلوم أنت تضحك.. غوما حاكم طرابلس.. غوما باش قوبجى.. غوما اذبحنا جميعاً..

قاسم ـ (**يمسك بوسادة ريش النعام التى يجلس عليها ويضعها علـــى خده**) ريش النعام أفندم له تأثير على الثوار.. وصفة مجربة أفندم.

(**يضحك الكل ضحكة ذات مغزى**).

اللواء ـ لكن غوما يرفض افندم..

قاســم ـ غوما يقبل حضرة لواء (**ضاحكا**) ليهدم الامبراطورية

العثمانيـة ويذبحكم جميعـاً (يضحـك الثلاثـة نفـس الضحكـة الصفراوية).

اللـــواء ـ تفكـير غريب حضرة قاسم (يتـــدارك بعد لحظة) لكن غوما له شروط كثيرات.

قاسم ـ جميـع شروط اقبل.. امضـاءات.. بصمـات.. اكتب ، وقع، ابصـم.. ورق كثـير فـى الامبراطوريـة العثمانيـة ، مفيش أزمة ورق (يضحك)

اللـــواء : (فـــى حيرة) وبعديـن افنـدم.. مش أفهـم.. غومـا يأخذ إنعامـات.. غوما يأخذ عـلاوات وترقيات.. غوما يجلس مع الحكام .. وبعدين أفندم.

قاسم ـ غومـا يفقد عطـف مواطنـين فقـراء.. تصور أفنـدم غوما يأخذ مرتبـات ومستحقات وجرايـات يدفعها الشعب من قوته.. موسم جفاف وكساد وقحط ، والعربى لا يملك بارة يدفعها وجيـب غوما منتفخ بمرتبات حضرة والى.. غوما يفقد عطف الشعب.

اللـــواء ـ (فـــى تفكير) مفهوم.. بعديـن اعتقل غومـا.. مفيش حد يسأل عن غوما.. فى داهية غوما...

قاسم ـ (فى سخرية) زى كل موظفين حضرة لواء.. زى حضرتكم.. زى حضرة والى.. فرمان سلطانى شلوت للوالى عشقر، راح

عشقـر .. جـه محمد أمين بـاشا ، تعظيـم سلام لمحمد أمين باشا .

اللواء ـ وبعدين شلوت (**يضحك**).

قاسم ـ زى كل موظفـين حضـرة لـواء.. طـرد تحقيـق.. واعتقال.. ونفى ، دون إبداء أسباب ، لا أحد يهتم بشئون موظفين.. لا أحـد يدافع عن حضرات موظفين نهابين خطافين .. لا أحد يحب موظفين.. لا أحد يحب حكومة.

اللواء ـ أنت على حق قاسم.. خطة غريبة.. عفارم (**يقف متأهباً للانصراف**) نبلغ سيادة محمد أمين باشا ونقوم بإجراءات.

(يقوم معه الدفتر دار)

اللواء التركـــى ـ (الدفـتر دار) ونقـوم بإجـراءات هويات وتذاكر مرور أيضاً (**يخرج الاثنان.. قاسم وحده يقوم من على مكتبه.. يقف أمام جلد وحش معلق على الحائط**).

قاسم ـ نشرب من نفس الكأس يا غوما.. لا أحد أفضل من الآخر.. إنما بالامتحان تختـبر معادن الرجال ، ألست أقوى من الامبراطورية العثمانية .. أقوى لأنك غوما ؟ أم لأن الشعب معك؟ هذا هو السؤال ؟

(يظلم المسرح تدريجياً)..

(زقـــاق فى طرابلس.. ليل.. حانـــوت مضيء به بندق ولوز وجوز وزبيب وتين ولفافات قمر الدين صف من فوانيس رمضان على إفريز الـــدكان.. العجوز يوســـف قره مالـلى جالس علـــى العتبة ومعروف بجـــواره وصاحب الـــدكان مشغول بصُف بضاعتـــه.. أطفال يدخلون المسرح بفوانيسهم مهللين منشدين) :

وحوى يا وحوى اياحه.

وكمـان وحـــوى اياحه.

يا الله يا رمضان اياحه.

البدر أهـــو بـان اياحـــه.

(صـــوت دورية تركية.. يدخل الجنود الـــترك فيتفرق الأطفال وهم يلوحـــون بفوانيسهـــم وراء الجنـــود ويتصايحون..هيـــه.. بعد أن تختفـــى الدورية يقـــوم معروف يتنطط ويأخـــذ فانوساً يلوح به وينشد للأطفال وهم يردون عليه.

ولولا غوما ما جينا.. يا الله الغفار.

ولا تعبنا رجلينا.. يحيا الثوار.

ويتنطط ويخرج لسانه فى الناحية التى اختفت فيها الدورية).

زعق السلطان.. اياحه

أبو طقم سنان.. اياحه

وبعت فرمان.. إياحه

(بصوت منخفض) يسقط سلطان .. إياحه .. إياحه

(يتنطط) : حلو يا حلو .

رمضان كريم يا حلو

حبايبنا جم وطلو

(يميل على العجوز يوسف القره ماللى فيجده نائماً)

.. ايه انت نمت يا قره ماللى (يتنطط).

قره ماللى نام يا حلو

قرايبو سابوه وفلو

يوسف قره ماللى ـ عربى مجذوب..

معروف ـ مجذوب مجذوب بس أعيش..

يوسف قره ماللى ـ ده بـدال مـا تشيل سلاح وتـروح تحارب فى ميدان.

معروف ـ أنا بحارب باللسان.. التخصص بتاعى.

يوســف قره ماللى ـ (يضحك) احنا بنسمع عن لواء مشاة ، لواء فرسان ، لواء مدفعية ، عمرنا ما سمعنا عن لواء لسان..

معروف ـ ده جهاز الإعلام يا قره مالّلى ، حاجه ما تعرفهاش فى جيشكم الخيبان.

يوســف قره مالّلى ـ (ساخرا) جميع حروب غوما أصبحت الآن حـروب إعـلام.. غوما دخل فـى سلك حـكام وأصبح يصـدر بيانات.. بيانات.. بيانات ، غوما باش قوبجى الديوان.. غوما يوك.

صاحــب الدكان ـ (يتكلـم لأول مـرة) غوما عـرف أن **الله** حق... وأن لا جـدوى مـن التناطح مع جبـل مثل الخلافـة العثمانية ولا من المصلحـة أن ينشـق الاسـلام على نفسه بـدلاً من أن نحـارب بعضنا نتحـد يا نـاس فيها إيه ؟. ومـاذا فعل لنا الأتـراك ؟ إلا كل خير.. بنوا المساجـد والمستشفيات والمدارس ونظموا الأوقاف والخيرات وأسسوا المتصرفيات .

يوسف قــره مالّلى ـ ووزعـوا الرشاوى على لسانـات خائنات أمثالك.. أنا أعرف الصرة التى تدور الآن على الدكاكين فى السر.

صاحب الدكان ـ أنا أقول نصيحة وأجرى على **الله**.

يوسف قره مالّلى ـ أجرك على عثمان آغا.. خرسيس خنيس.. ما رأيك معروف قول حقيقات.

معروف ـ أنا مع غوما مهما عمل .

يوسف قره مالّلى ـ ممنوع مجاملات..

معروف ـ غوما عنده أسباب لا نعرفها.. غوما عنده خطة... أنا أثق فيه ثقة عمياء.

يوسف قره مالـلى ـ لكـن الشعب يقول كلاماً آخر.. نحن نسمع فى الشوارع كلاماً آخر.

معروف ـ (وقد أسقط فى يده) **الله** أعلم.

يوســف قره مالـلى ـ جيش عربى بقى جيش ، عشانا عليك يا رب.. **الله** يساعد عربى غلبان ، الفاتحة أن ربنا يطلع الأتراك.

بسم **الله** الرحمن الرحيم (يتمتم بشفتيه).

معروف ـ (يثـور) قره مالـلى شحـات.. جندى عربى أشجع جندى فى العـالم.. جيش عربــى حارب مع القــره مالـلى وغلب العـالم.. صانع عربــى بنى السفن للقره مالـلــى ..أسطول قــره مالـلــى صناعة عربيــة فــى ترسانــة طرابلس هزم أساطيـل السويـد والأمريكان.. عربــى لا يقهر قره مالـلى شحات.. يوك.. بجم.

يوسف قره مالـلى ـ دى أمجـاد زمــان.. ده تاريــخ ، تاريخ مضى وانقضى.. احنا بندور على دلوقت.

معروف ـ (فى ثقة) غوما عنده خطة.. بقولك غوما عنده خطة.

صاحب الدكان ـ تمام غوما عنده خطة.

يوسف قره مالـلى ـ (يسعل ويبصق ويلهث ثم يلتقط أنفاسه قائلاً) نشوف الخطة ، الزمن طويل.. طويل.. مستعجلين على إيش ؟.

صــوت المغنى البــدوى من بعيد : لى زمان يا خـــال وانا باطوى

البـــداوى طى الجلب عطشان وعطش الجلب ماله رى لا تبك على اللى راح يـــا خال دور علـــى اللى جاى لا تنوح علـــى اللى مات يا خال اشفـــق على اللى حى ده الكل فـــان ولا يبقى سواه الحى آه.. ندمان.. يا جلبى.

(يظلم المسرح تدريجياً)..

(المشهد سجـــن ليل.. نسمع أزيز مفصـــلات حديد.. نرى البوابة الحديديـــة تفتـــح وثلاثة مـــن الحراس الشـــداد يدفعـــون بغوما إلى السجن)

غوما ـ (يصيح) كلاب.. أنذال.. هذه خيانة.. سوف تشنقون حينما يصل الخبر إلى الوالى.

الحراس ـ (**فى وقت واحد**) **والى مين** ؟.

غوما ـ سوف تعدمون حينما يعلم السلطان.

الحراس ـ (**فى وقت واحد**) **والى مين** ؟.

رئيس الحراس ـ دى أوامر سلطان عربى مغفل ، دى أوامر والى .

غوما ـ مستحيل هـذه خدعة.. هناك معاهـدة بينى وبين الوالى.. هناك مرسوم سلطانى.

رئيســـس الحراس ـ حضـرة سلطان كل يـوم يكتب مرسـوم ويقطع مرسوم ، عربى حمار.

غوما ـ سوف تثور القبائل.

رئيس الحراس ـ تبقى تثور حضرات قبائل.

غوما ـ لقد أخطأ السلطان التقدير.. إن لى أعواناً فى كل مكان.

رئيـــس الحراســـ ـ فين حضـرات أعـوان.. مفيش حد يســأل عن حضرتكم.

غوما ـ هذا ظلم.. ظلم.. ظلم.

رئيـــس الحراس ـ دلوقت عرفت أن العـالم فيه ظلم.. عرفت متأخر حضـرة عربـى مغفـل ، العالم مـن زمان فيـه ظلم ، وطول عمـر الدنيا حايكون فيه ظلم.

غوما ـ مستحيل..لابد من الثورة.. لابد من التغيير.

رئيس الحراس ـ ثور حضرة عربى مغفل غير (ساخراً) ممكن تغير هدومك بهدوم السجن إذا كان عاوز.

غوما ـ كلاب.. أنذال.. أوغاد.

الحراس ـ (فى وقت واحد) تانى.

(صوت صلصلة سلاسل وصيحات وأقدام).

رئيس الحرس ـ فيه ضيوف جايين لحضرتكم.

(يظهر ثلاثـــة من هيئة قيادة غوما) الثلاثـــة الذين رأيناهم فى بدايـــة المسرحية) وهم مقيـــدون بالسلاسل.. يدفعهـــم الحراس إلى الزنزانة مع غوما).

رئيس الحراس ـ عشان يبقى مؤتمر..

أصوات ـ هذه مؤامرة دنيئة.

ـ هذه خدعة.

ـ خيانة قذرة..

ـ أنذال كلاب.

(**الحراس يلقون بهم إلى الداخل ثم يصفقون الباب**).

رئيســن الحرس ـ (فى سخرية) بكرة فى الفجر.. كله مشحون فى الباخرة على اسطنبول وبعدين للمنفى فى طربزين على البحر الأسود بعيد.. بعيد فى آخر المانيا.. كل واحد تمبل يأكل ويشرب وينام ويفطر مهلبية على حساب التكية التركية ويغور من وش الأمة العربية. عرب مغفلين عاوزين يعملوا انقلاب على سلطان خليفة آل عثمان أمير مؤمنين.. حامى حمى الاسلام.. عرب يوك .. (يبصق فى احتقار).

(**ينصرف الحراس... ينظر السجناء إلى بعضهم البعض وإلى غوما**).

أصوات ـ كلنا فى السجن ماعدا قاسم..

ـ قاسم ؟.

غوما ـ قاسم الخائن الذى قادنا إلى هذا المصير.

أحدهـــم ـــ (إلى غوما) إنـه لم يقدك من يدك إلى وظيفة الباش قورجى.

غومـــا ـ (فى عنف) وهو لم يرغمك أيضاً على قبول مدير فزان (إلى الثانـى) ولا هـو أرغمك لتكون مدير بنى غازى (إلى الثالث) ولا

هـو جعلك رغم أنفك مديـراً للجبل.. أنتم بأنفسكم سـرتم بأرجلكم إلى الهلاك.

أحدهم ـ نحن مددنا أيدينا حينما مددت انت يدك..

آخر ـ تعاونّا حينما تعاونت..

آخر ـ هادنّا حينما هادنت..

ـ اتخذناك قدوة..

ـ قدتنا إلى حتفنا..

(يكادون يشتبكون بالأيدى).

أحدهم ـ إننا لن نتعارك ونحن فى زنزانة واحدة.

آخر ـ كان يستطيع أن يجنبنا هذه النهاية.

غوما ـ كان فى حسابى أن أقلب الجيش ولكن الحوادث سبقتنى..

آخر ـ إنه قاسم مرة أخرى.. إنها يد قاسم.

آخر ـ هذا مصير مدبر..

ـ لماذا قبض علينا جميعاً ولم يقبض عليه ؟.

ـ لا أفهم.. ولكن قاسـم كان صريحاً واضحاً فى المحاولة الأولى للمفاوضة مع أحمد قورجى وقد أطلق على قورجى الرصاص ورفض المفاوضة.

غوما ـ لأن المفاوضة لم تكن صفقة رابحة بالنسبة له.. لم يكن له

فيها منصب ولا إدارة.

ـ أهى إذن صفقات ومناصب ؟

غوما ـ بالنسبة لقاسم هى كذلك..

ـ وبالنسبة لك ؟.

غوما ـ بالنسبة لى كانت فرصة لعمل انقلاب.. أنت تعرف هذا جيداً.

ـــ لم أعد أعرف شيئاً ولا أحد يعرف شيئـاً.. ولم ير الناس انقلاباً ليصدقـوا.. والنتيجـة أننـا نقـف بالسلاسل فـى أيدينا ملوثـين أمام العيون.. وليس الناس ضاربى رمل ليعرفوا ما خفى من نياتك.

ـــ الله يعرف وهذا يكفينى..

ـ أهذه هى النهاية ؟.

غوما ـ (يضـرب بيديه القضبان ويصرخ).. إنهـا ليست النهاية ..لم ينته الزمن بعد.. لم ينته التاريخ بعد.. لم أمت ليحكم على الناس.. كل ذنبى أنى أحببت وطنى لدرجة البلاهة.. وإنى لعائد إلى وطنى بعد سجـن طال أو قصـر ليكون لى حساب معك يا قاسم ومع كل العيون التى ترمقنى فى ازدراء من خلف الجدران..

ستـــار

الفصل الثالث

(ديوان حكومة.. نفس الغرفة الواسعة المفروشة بالطنافس التى رأيناها فى الفصل الثانى ، نفس الجدران المحلاة بقرون الوحوش والبنادق المنقوشة بالفضة والسيوف).

(قاســم يدور حول نفسه كانه حبيس فى زنزانة.. يقف أمام أحد السيــوف المعلقة على الحائط ، ينزلــه من على الحائط.. ينزعه من غمــده.. يلوح به كانه يبارز شبحا.. يقف شــاردا.. يتجه إلى خريطة على الحائط).

قاسم ـ (يشـير بظبة السيف إلى مواقع على الخريطة محدثاً نفسه) غوما فر من سجن طربزين.. غوما فى بلاد اليونان.. غوما فى ايطاليا.. غوما عبر البحر.. غوما فى تونس ، غوما على حـدود جنزور (فى شرود مطمئناً نفسه) بعد اثنتى عشرة سنــة مــن النفى والسجــن.. لاشك أنه تغير.. لــن يعود ذلك المقاتل العنيد ، اثنتا عشرة سنة يحدث فيها الكثير.. تشيب الرؤوس.. وتنحنى الظهور.. وتصبح الوجوش بلا أسنان.

(نقــرات على بــاب الغرفة.. يدخــل الدفتردار وفى يــده أضابير

وملفات.. يتهالك على كرسى).

الدفـــتر دار ـ الحالة سيئة.. الأهالى يقاومـون عملية الاحصاء وقد ضربوا الموظفين وسرقوا طرابيشهم.

قاسم ـ معذورون.. يظنـون أن الاحصاء سيكون مقدمة لمزيد من الضرائب أو لتجنيد إجبارى.

الدفتردار ـ وأسوأ مـن هذا أنهم يهاجرون مـن طرابلس خوفاً من الوباء.. يتسللون تحت جنح الليل بالألوف.

قاسم ـ أما زال الوباء مستشرياً ؟

الدفتردار ـ عشرون وفاة منذ البارحة..

قاسم ـ حظـه سيىء ذلك الـوالى الجديد نورى باشـا.. أغلب الظن أنـه سـوف يلحق بسلفه حاجـى أحمد عزت فـى الأستانة وبنضـم إلى زمـرة المخلوعين..راغـب باشـا وأمين باشا وعشقر والجشمه للى وطاهر ورئيف ونجيب.. ما أسرع ما تتغـير الأمور هنا (بنـبرة ذات معنى) أن اثنتى عشرة سنة يمكن أن يحدث فيها الكثير أليس كذلك ؟

الدفـــتردار ـ نعم سيدى.. وهذا أسوأ ما فى الأمر.. لا شىء يدوم فى هذا البلد أبداً.. ما يكاد شىء يدون حتى يمحى.

قاســم ـ (**يفكر فى شىء آخـــر**) لا.. لست أقصد البلـد.. بل أقصد الإنسان نفسه أيضاً يتغير.. تغيره السنين ، أليس كذلك ؟

الدفتر دار ـ (فى شرود) نعم سيدى.. هذا أمر طبيعى.

قاســم ـ أترانى تغـيرت كثـيراً فى هـذه الاثنتى عشـرة سنة من الوظيفة ؟

الدفتر دار ـ امتلأت قليلاً ياسيدى..

قاسم ـ وأصبحت حركتى بطيئة.. وأفكارى بطيئة.. وهذه مسائل تغـير كثيراً مـن موازين الأمـور أمام العـين فأنا الآن أكـثر تساهلاً.. وأكـثر تغاضياً عـن الهفـوات.. وأكثر ميـلاً إلى المصالحـة والمهادنة وطلب الأمـان.. وأنت أيضاً تغيرت كثيراً فى هذه السنوات .

الدفتردار ـ (فى تفكير) نعم.. أعتقد أنى تخلصت من الرطانة التركية وأصبحت أتقن لهجتكم العربية من طول المخـالطة والمعاملة.

قاسم ـ (مـازال مشغولاً بشىء آخر) لابل أقصد تغيرت فى الطبـاع والأخلاق.

الدفــتر دار ـ (حائراً) فى الطبـاع والأخـلاق.. لا أظن أنى تغيرت كثيراً.

قاسم ـ هل أنت بمثل الحماس الذى بدأت به ؟.

الدفتر دار : لا أدرى.

قاسم : أعتقد أنك فقدت الكثير مـن حماسك ، وأصبحت مع الأيـام أكثر فتوراً وكسلاً وإهمـالاً .. وأكثر قبولاً لأنصاف الحلول.

الدفتردار ـ هذا يحدث لكل الموظفين عـادة.

قاسم ـ (يطمئن نفسه) ليس الموظفين فقط بل كل النـاس يتغيرون مع العمر.. القلوب تفتر والنفوس تشيخ مثل مـا تشيخ الأبدان.

الدفتر دار ـ ربما كنت على صواب.

قاسم ـ يجب أن أكون على صواب وإلا فإننا سوف نهلك جميعاً.

الدفتردار ـ لا أفهم..

اللواء التركى ـ (يقتحم الغرفة هاتفاً فى انزعاج) هناك معارك فى جنزور قاسم بك.. سنجق والى فى مأزق ، عشرات من القتلى والجرحى.. غوما ظهر من جديد.. غوما بنفسه يقود القوات الثائرة هناك.

قاسم ـ (**ينتفض**) غوما.. غير معقول ؟ !!

ضابط تركى ـ (**يدخل الغرفة منفعلاً**) مدافع كثيرات حضرة لواء تضرب على أتجاه المتصرفية..

(**صوت مدافع من بعيد**)..

قاسم ـ وهنا أيضاً.

اللواء التركى ـ غوما فى كل مكان.

الضابط التركى ـ ثوار فى فزان خلعوا المدير (صوت المدافع) وفى مصراته البدو سرقوا مخازن السلاح.

اللواء التركى ـ غوما فى كل مكان.

(**صوت المدافع تضرب عن قرب أكثر**).

قاسم ـ بعد اثنتى عشرة سنة عاد ليحارب من جديد.. لا أصدق

(صـوت المدافـع تضرب عن قرب أكثر) نعم يجـب أن أصدق (صوت مدافع) لابد أن أصدق.

اللواء التركى ـ حضـرة بكباشى.. اجمع كل قوات واضرب حصار على المنطقة.. لابد جيب رأس غوما.. أريد غوما حى أو ميت.

(يخرج الضابط مسرعاً).

اللواء ـ هذه المرة لابد مـن القضاء على غوما.. كانت غلطة نفى غوما.. كان يجب قتل غوما وتعليق رأسه على باب قلعة.

قاسم ـ كان هناك الخوف دائماً من ثورة القبائل.

اللواء ـ قبائل بدون غوما لا تستطيع حركة.

قاسم ـ وهذه المناوشات طوال الاثنتى عشرة سنة.. إنها لم تدعنا فى سلام أبداً.

اللواء ـ على أمل عودة غوما.. غوما هو الروح.. بدون روح جسد عربى يموت.

قاســم ـ ومن يدريك أن غوما آخر لن يُبعث بعد موته وربما مائة غوما.. وربما ألف غوما.

اللــواء ـ حضـرة قاسم لا يوجد فـى تاريخ عـرب إلا غوما واحد دوخ جيوش تركية.. عشرين سنة وخلع سبعة ولاة.. غوما لا يتكرر.. يوجد شيطان واحد كبير.

(صوت ضربات مدافع هائلة من الجانبين).

اللواء ـ هناك هجوم من جانبنا.. مدافع متصرفية ترد..عفارم.

(صوت مدفع هائل يصم الآذان).

اللواء – عفارم..

(المعارك على البـــاب.. الصخب وقرقعة السلاح تسمع واضحة.. يدخل أحد الضباط (جريح وذراعه مضمدة) هناك التحامات بالسلاح الأبيض على أبواب متصرفية..).

وأخبار سارة حضرة لواء..

غوما وقع أسير حضرة لواء..

قاسم ـ غوما أسير ؟. أخبار عظيمة حضرة ضابط .

اللواء ـ ترقيات حضرة ضابط..

الضابط ـ أورطة ١٧ تحت قيادتنا.. اضرب حصار.. امسك غوما.

اللواء ـ هو فين ؟

الضابط ـ قادم حالاً حضرة لواء..

(يدفـــع الباب فينفتح بشدة.. ويدخل زحام من الجنود.. كتلة من الجنود تحيط شيئاً فى الوسط لا يظهر).

أصوات الجنود ـ غوما..

ـ غوما مجرم ..

ـ **غوما** حيوان ..

- عربى جبان ..

- قدم تحيات إلى حضرة لواء..

(**ينفتـــح الزحام لنرى الشىء الذى فى الوسط فإذا به (معروف) عينه وارمة من الضرب**).

اللواء - (مصعوقاً) دى غوما تركى بجم ؟

(**قاسم يبتسم ابتسامة صفراء مذعورة**).

اللواء - دى معروف بن عون بائع روبابيكيا.

الجنود - هو قال انه غوما.

- كل واحد يقول غوما يبقى غوما ، تركى بجم.

الجنود - (**يضربون معروف**) **عربى كذاب.**

- **عربى كلـــب..**

- **عربى حيوان..**

- **عربى ضلالى..**

معـــروف - (يصـرخ) آى.. مفيش فى قلبكو رحمة يـا كفرة.. ألف على واحد.

(**المدافـــع تضرب بقوة أشـــد.. تهتز جدران الغرفـــة وتقع رؤوس الوحوشـــ وتقع السيوف من تعاليقها.. الجنـــود يرفعون أيديهم عن معروف وينظرون إلى بعضهم فى ذعر**).

(يظلم المسرح تدريجيا)..

(المشهد ليل.. فى مركز قيادة غوما فى الجبل.. الغنائم متراصة بكثرة.. جوالات مليئة بالريالات الفضية التركية.. أكوام من الملفات والدفاتر.. مدافع وبنادق وذخيرة. قاسم أسير فى يديه السلاسل).

(معروف يغترف بيديه الريالات الفضية ويقذفها ويعبىء جيوبه ثم يعود فيفرغها ثم يرقص حولها).

معـــروف ـ (يأخذ كبشه من الريالات فى حفانة ويقبِّلها) اللهم صونك نعمة واحفظك من الزوال.. عشنا وشفنا الفضة فى شوالات.

(يدخل غوما ومعه هيئة قيادته وبعض الجند العرب).

غوما ـ (مشيراً إلى الجوالات) هـذه النقود تعاد فوراً إلى الخزينة فى طرابلس.

ضابط القيادة ـ غير معقول هذه غنيمة وهى حق مشروع لنا.

غومـــا ـ لسنا قطاع طرق ولا لصوص نحـن نحارب للحرية وليس للسرقة.

ضابط آخر ـ ولكننا فى حاجة إلى أموال..

غوما ـ لقد حاربنا عشرين سنة بدون أن نسرق أموالا.

الضابط ـ إنها أموال تركية..

غوما ـ بل هى أموال مواطنين عرب مثلكم..

معروف ـ طيب املأ جيوبى بس..

غوما ـ كف يدك يا معروف..

قاسم ـ (هامساً لنفسه فى جانب) إنه ما زال ذلك العربى الأحمق الـذى عرفتـه.. يحـارب بقلب الشاعـر وسذاجـة البدوى.. هـذه بشائر النهاية.

غوما ـ وهذه الأكوام من الملفات والدفاتر لا حاجة لنا بها.. وهى تحـوى مصالح الكثير من المواطنين تعاد هى الأخرى إلى الديوان فى طرابلس فوراً.. أنا أقول فورا.

(**الجنـود يحزمـون جـوالات النقـود ويحملون أكـوام الملفات ويخرجون بأحمالهم مسرعين**)..

ضابـط القيادة ـ هـذه شهامة لا أفهمهـا من الجيش مـن قطّاع الطرق.. وماذا ننتظر من جزاء.

ضابط آخر ـ إنه لن يكون إلا جزاء نكراً على عادتهم .

غومـا ـ أنـا لا أنتظر جـزاء.. إن ما نفعلـه.. نفعله لنعطـى الثورة شرعيتها أمام العالم.

ضابـط آخر ـ لا أحد يهتم بالشرعية وعدم الشرعية فى عالم من القتلة والسفاحين.

غوما ـ ولكننا شرفاء ونحن نقول إننا شرفاء.

ضابط ـ لا أحد سوف يهتم بأقوالنا.

غوما ـ ولكن هذا لن يغير الحقيقــة.. إننا كنا دائماً شرفاء.. وأننا ضربنا المثل.

الضابط ـ أنا لا أفهمك.

غومـــا ـ (فى أسى) تستطيع أن تحــارب مع الجانب الذى تفهمه.. أنا لن أفرض عليك قيادتى.

الضابـــط ـ مهما اختلفنا فإنــى عاجز عن تركك وإنــى لأزداد بك إعجاباً رغم كل شىء.

غوما ـ (ناظراً إلى قاسم فى قيوده) فكوا قيد هذا الأسير ودعونا وحدنا بعض الوقت.

يفكون قيود قاسم ثم يخرجون.

غومـــا ـ ها نحن أخيراً وجهاً لوجه مرة أخرى (يفحصــه بنظراته) لقد تغـيرت كثيراً يــا قاسم أصبح لـك كرش مثل الأتــراك.. وأصبحت بليد النظـرات مثـل جبــاة الضرائـب.. صفراوى البشـرة ممعـوداً من كثرة الحلوى الدسمة.. حسناً.. لا شك عندك الكثير لتقوله لى اليوم.

قاسم ـ أعترف بأنى ما زلت أشعر بالحيرة. وبعد اثنتى عشرة سنة ما زلت لا أفهمك.

لا أدرى لمــاذا تعيد المال إلى خزينــة الوالى ؟.. أهو استعطاف ذكى وبرهــان مقنع على حسن النوايا لتفـوز بعفو عاجل وفرمان سلطانى بالولايــة على البلاد ؟. أم هى نزوة الشهامة الحمقاء والشرف البدوى

الساذج الذى يلازمك ؟.

غوما ـ وماذا ترى ؟.

قاسم ـ اغفر لى شكى.. ولكنى أفكر دائماً بطريقة بشرية جداً.. ولا أراك الا انتهازياً رفيع الأسلوب بعيد الغايات.

غوما ـ (يضحك) إنك لم تتغير كثيرا فى تفكيرك.

قاسم ـ لا أعتقد أن الناس يختلفون أمام إغراء السلطة.. كل الفرق أن بعضهم يمكن شراؤه بكيس ذهب واحد وبعضهم يحتاج شراؤه إلى ألف كيس والبعض يشترى بخزينة السلطان كلها لأنه يريد أن يكون السلطان نفسه.. كلنا وصوليون وإنما تختلف العتبة التى تقف عندها أطماعنا..

غوما ـ رأى مريح على أى حال.

قاسم ـ نعم يعفينى على الأقل من هذا التقديس الزائد الذى يشعر به جنودك نحوك. فأنت أمامى لص كبير.. أنا وقفت أطماعى عند نائب الوالى.. وأنت تريد أن تكون الوالى نفسه..

غوما ـ والمبادىء يا قاسم ؟.

قاسم ـ نسكت عنها نحن الاثنان عندما نصل إلى أغراضنا وننشغل بما فى أيدينا من حلوى تركية دسمة..

غوما ـ لا أعرف بماذا أرد عليك.. فالقصة لم تنته بعد.

قاسم ـ إذن لندع التاريخ يرد بنفسه..

(ضابط عربى يقتحم الغرفة هاتفاً فى قلق).

ـ جيش تركى من ثلاثين ألـف مقاتل يزحف مـن طرابلس مزود بالأسلحـة الثقيلة والذخيرة والمؤن والعربات.. سفن كثيرة فى الميناء تنـزل العتاد والإمداد.. جناح جيشنا فـى الجبل مطوق والقوة التركية التى تحاصره تشترط الإفراج عن الأسرى وعن قاسم لفك الحصار..

(لحظة صمت)..

الضابـــط ـ أرى أنه لا بد من فك الحصار لإنقـاذ الجيش المحاصر والعودة به سليماً إلى الحدود قبل أن يصل الجيش التركى..

غوما ـ لا يبدو أننا نملك اختياراً فى الأمر.. معك حق..

الضابـــط ـ ربما اضطرتنا الظـروف إلى العـودة إلى حدود تونس ذاتها..

غومـــا ـ هذا لا يهـم.. يجب أن نسبق الوقت أولاً قبـل أن يسبقنـا .. أعيدوا الأسرى الترك إلى السنجق التركى..

الضابط ـ وقاسم ؟

غوما ـ (بعد لحظة تفكير) قاسم أصبح ضابطاً تركياً.. حتى عقله أصبح عقلاً تركياً.. لم يعد قاسم منـا.. أعيدوه إلى مواطنيه الأتراك..

الضابط ـ (فى ثورة) بل نقتله.. هو خائن..

غومـــا ـ لا أرى ما يدعو لذلك.. ألا ترى أنه مـات من سنوات (يشير إلى قاسم المصفر كالموت).. وأنه قتل نفسه.. وأعفانا من قتله ثانية..

(**يظلم المسرح تدريجياً**)..

المشهد الآن ليل فى تونس..

مضارب خيام غوما وأتباعه..

نصف المسرح صحارى والنصف الآخر خيمة غوما..

جمع من الجنود والفرسان العرب من ضباط القيادة واقفون بالصحراء تحت ضوء الفوانيس..

أحد الضباط ـ (يرسم على الرمل دوائر بطرف بندقيته فى ملل) طالت بنا الإقامة فى هذه الغربة الموحشة.. ولا البلاد بلادنا ولا الأرض أرضنا..

ضابط آخر ـ ليس أمامنا اختيار.. لو أننا فكرنا فى العودة إلى بلادنا لتلقفنا الجيش العثمانى على الحدود..

ضابط آخر ـ وإلى متى نعتمد على كرم ضيافة باى تونس.. والوشاة من الترك يملؤون قلبه بالشك والريبة ويوسوسون له بالشر.. ويقولون له كيف تنام آمناً وأنت تأوى فى بلدك الألوف من قطاع الطرق وعلى رأسهم رجل لا هم له إلا هدم العروش وخلع الولاة.. شيطان لا يُؤمن له جانب..

جندى آخر ـ إننا نائمون على برميل من البارود يوشك أن ينفجر..

جندى آخر ـ لو أننا ثبتنا وقاتلنا لآخر رجل لكان أفضل لنا من حياة التشرد هذه..

ضابط ـ كان من المستحيل أن نستمر فى قتال جيش من ثلاثين

ألف مقاتل ونحن لا نبلغ ثلاثة آلاف.. كانت المواجهة انتحاراً..

ضابـــط آخر ـ لم يكن هناك بد من هذا الانسحـابِ المنظم واللجوء إلى تونس..

ضابط ـ ومع ذلك فلا اطمئنان لنا هنا أبداً ولا استقرار وجواسيس الوالى رائحة غادية بالرسائل إلى الباى وبالتحريض تلو التحريض..

ضابـــط آخر ـــ والمـيرلاى بورشيـد القائـد التونسى رجـل شديد المراس وعسكره لا يبرحون المنطقة..إنى أشم الخطر تحت هذه الرمال الهادئة..

جندى ـ أرأيت ما كان من أمر المنادى الذى راح يتلو بالأمس فى كل محفل وكل سوق على جند الميرلاى بورشيد نداء الباى.

الضابط ـ نعم سمعت وبودى أن أعرف ماذا كان بهذا النداء..

جندى ـ سمعنا أنه استنفار للجنود وحث على الاستعداد..

الضابط ـ استعداد لماذا ؟.

الجندى ـ لا أعرف.. لقد ذهب معروف يستطلع منذ البارحة (يتلفت حوله) ها هو.. لعله عاد بخير..

(نرى غوما يخرج من خيمته فى نفس اللحظة متجهاً إلى الجنود.. يلتقى غوما بمعروف والجنود.. معروف يحمل مخطوطا)..

معروف ـــ (إلى غوما) سمعت فـى السوق أن رسـولاً من البـاى قـادم إليك..

غوما ـ يحل بنا مكرماً..

ضابط ـ (ـ يأخذ المخطوط من يد معروف). هل هذا ما كان يتلوه المنادى فى الأسواق أمس ؟.

معروف ـ نعم..

الضابط ـ (يفض المخطوط ويقـرأ بسرعة وانفعال وفضول على ضـوء الفـانوس) من عبـد **الله** المتوكل عليه المفوض جميع الأمور إليه المشير محمد البـاى إلى أهل الغيرة من الضباط والعساكر أما بعد فإن **الله** قرن النجاح والظفر بطاعة المأمور للأمير فى الشاق واليسير والقليـل والكثير.. قـال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُـوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُـولَ وَأُولِي الْأَمْـرِ مِنْكُـمْ (٥٩)﴾ (النسـاء).. وهذا أميركـم بورشيد حسبه أن يـأمر كم بمـا يرى من عمل وحسبكم المسارعة بـالامتثال فى أى جهة وعلى أى حال ، واعلموا أنه يباشركم بيدى ويأمركم بلسانى وإنكـم بقـوة **الله** مظهـر قوتى وصولتـى اقتاد بكم العصـاة وأذل بكم العتاة والحمد **لله** الذى ما خاب طائعه ولا ضاعت ودائعه..

(كتـب فى العشرين من ذى الحجـة سنة ثلاث وسبعين ومايتين وألف).

غوما ـ نداء غريب..

ضابط آخر ـ إنه استنفار واضح للجنود للتحرك إلى أي جهة وأى حـال ، والامتثال بما يرى قائدهم من أعمـال لاقتياد العصاة وإذلال العتاة..

ضابط آخر ـ ولم يقل لنا من هم العصاة ولا من هم العتاة..

ضابـط آخر ـ إنـه لم يتهم أحداً ولكن الاتهـام يحلق على رؤوسنا جميعاً..

غوما ـــ لا أحسبـه يخـون الضيافة.. هـذا أمـر ليس فـى طبيعة العرب..

ضابط آخر ـ أعتقد أن المندوب الذى سوف يأتيك من البـاى سوف يجلو لنا هذه الشكوك..

(معروف يتنهد..)..

غوما ـ مالك مهموم يا معروف..

معـــروف ـ كانت فى يدى شوالات من الريالات الفضة السلطانى ، صبحت قاعد أقول آه يانى طيب كنت سيب لى شوال أصلح بيه الحال.. يعنى شوال الفلوس مش أحسن من ذل النفوس اللى احنا فيه ده..

غوما ـ ذل النفوس فى الجرى وراء المال... الكرامة أن تستغنى لا أن تكون غنياً يا معروف.. أنت لم تجرب..

معـــروف ـ جربـت والله ترقيـع الكسـاوى والشحاتـة ع القهاوى وشبعت من البلاوى..

(ضحك)..

غومـــا ـ كلما زاد ما تلقى مـن عذاب فى هذه الدنيـا فهذه بشارة بقرب الفرج وبأن **الله** سيأخذ باليد..

معـــروف ـ (فى خـوف) **الله** لما بياخـد باليد مـا بيسيبهاش يا مولانا.. بياخدها على طول فوق.

غوما ـ ونعم الرحلة إلى جنة الشهداء..

معـــروف ـ (فى ذعـر) جنة الشهـداء ؟!! **الله** يطمنـك.. لا يا سيدى خلينـى فى جهنم الحرامية وهات لى شوالى أحسن (الضابط والجنود يضحكون ويدغدغون معروف فى جنبه)

جـو من المرح يغرق جو الكآبة القلق. يقطع الضحك صوت سنابك حصـان سريع. ثم يدخل فارس تونسى. حينما يصل إلى غوما يترجل عن حصانه ويتقدم فى احترام.

الفارس التونسى ـ (لغوما) سيدى... مولاى البـاى يقرئك السلام ويحملنى إليك رجاء.. هل يمكن أن نتحدث على انفراد بعض الوقت ؟.

غومـــا ـ لا أسـرار بينى وبين هيئـة قيادتى... فلنمضـ كلنا إلى الخيمـة.. ولنتحـدث فيما جئـت به.. يأخـذ الفارس التونسـى من يده ويمضى إلى الخيمة ومن خلفه ضباط قيادته..

تنطفـىء الأنـوار فـى الصحراء فـى الخـارج ولا تبقـى الا الخيمة مضيئة.

يتخـذ الـكل أماكنهم علـى الحشايا المتراصة حـول الموائد وتدور القهوة العربية يحملها معروف..

غوما ـ نحن كلنا آذان صاغية..

الرسول ـ سيدى إن الموضوع شديد الحرج فأنتم هنا على الحدود تعبئـون حملة للهجـوم على الحـكام العثمانيين فى طرابلس ـ وباى تونس تربطه بكم مشاعر المودة والحفاظ على العهد وحسن الضيافة ولكـن أيضاً تربطه مشاعـر حسن الجوار مع جيرانـه العثمانيين وهو لا يريـد أن يكـون عوناً على عدوان ولا خائنـاً لعهد الجار ولا هو يريد أيضاً أن يخون عهد الضيافة..

وهـو لهذا يقترح حلاً وسطا أن ترحلوا بعسكركم إلى دواخل تونس بعيداً عن الحدود وبعيداً عن استفزاز الجيران.

لحظة صمت لا تسمع فيها إلا رشفات القهوة..

غوما ـ هـذه رحلة محفوفة بالمخاطـر.. ودواخل تونس صحارى جـرد يشـح فيها الماء.. وسـوف تكون حياتنـا فيها حيـاة العزلة بين قبائل لا نعرفها..

الرسول ـ إن كنت تخشى من أخطار الطريق فإن الجيش التونسى بألويته وفرسانه على استعداد لحراسة قواتكم..

غومـــا ـ لسنا فـى حاجة لمن يحرسنـا.. إنما الوحشـة والانقطاع والبعد عن الهدف الذى احتشدنا من أجله هو ما نخشى.

الرســـول ـ إن المـيرلاى بورشيد يخيِّرك بين هـذا وبين الجلاء عن البلاد.

غوما ـ (**يفيق فجاة**) أهو تهديد ؟..

الرسول ـ بل هو رجاء الصديق.. ولك الخيرة فيما تختار..

لحظة صمت..

غوما ـ حسناً.. سوف أفكر فى الأمر.. وأبلغك..

الرسول ـ نسأل **الله** الهداية..

الرسول ـ أستأذنك.

يقوم غوما والضباط.

غومـا يودع الرسول عند بـاب الخيمة.. يختفـى الرسول فى ظلام الصحراء ثم تُسمع سنابك حصانه تبتعد مسرعة.. يعود غوما وصحبه إلى داخل الخيمة.. غوما قلق يروح ويجىء فى عصبية.

غوما ـ إذن هو تهديد فى النهاية ؟.

أحد الضباط ـ الـرأى أن نذهب إلى دواخل تونس كما يريد الباى حتى تهدأ الأحوال..

غوما ـ الذهاب إلى دواخل تونس معناه أن نُقبر نحن وآمالنا بين بـدو جفـاة يقطعون الطريق من أجـل قربة ماء.. معنـاه أن تتقطع بنا السبل فلا نبأ يأتينا من بلادنا ولا نبأ يصدر عنا.. معناه الموت ببطء جوعاً وعطشاً وعزلة..

أحد الضباط ـ وما سبق من نداء الباى إلى جنود الميرلاى بورشيد يكشف لنا سوء النوايا فالجند يحشدون ويجهزون لاقتياد العصاة..

ضابط آخر ـ العصاة الذين لا يسمعون النصيحة.

ضابط آخر ـ وإذا قبلنا النصيحة وتركنا تونس سوف نقع فى قبضة ثلاثين ألف مقاتل عثمانى على الحدود فى انتظار لحظة خروج الطائر المهيض الجناح من القفص.

ضابط آخر ـ وإذا بقينا فى تونس وقعنا فى قبضة جنود الميرلاى بورشيد..

ضابط آخر ـ أى النهاية ؟..

ضابط آخر ـ الرأى لغوما..

غوما ـ رأيى أن الذهاب إلى دواخل تونس هى هجرة اليأس التى لا أمل بعدها سوى الموت.. الموت بلا معركة محاصرين بالرمال من كل الجهات.. موت لن يكلف العثمانيين ولا التونسيين رجلاً واحداً ولا طلقة رصاص..

ضابط ـ وما الرأى إذن ؟.

غوما ـ أن نبقى..

ضابط ـ ونحارب فى جبهتين ؟.

غوما ـ هناك أمل دائماً لمن يحارب.. أما من يستسلم فلا أمل له..

لحظة صمت ثقيلة كئيبة..

غوما ـ (محاولاً إشاعة بعض التفاؤل) هناك أمل فى الإفلات من كلابـة التونسيين والعثمانيين والعـودة إلى الجبل أو إلى دواخل ليبيا حيث أهلينا وجيراننا ، إنه الاختيار الصعب ولكن ليس لنا غيره.

(الوجـــوم علـــى كل الوجـــوه ، ومعروف متجمد كتمثـــال.. يظلم المسرح تدريجيا..)..

المشهد صحراء ظهرا.. ضوء شديد ، الشمس المحرقة تكوى الرمال، نرى خيمـــة كبيرة ممزقة فى بعضـــ أماكنها هى خيمـــة غوما إلى جوارهـــا فرس مقتولة ومغطاة بملاءة نرى من بعيد غوما قادما من الخلفيـــة يحمل زمزمية مـــاء ويسير متباطئا وعلـــى كتفه البندقية والسيـــف يتأرجح فى نطاقه ، ملابسه تمزقت هى الأخرى وبدا عليه الإعيـــاء والإرهاق.. خطوته المتهالكـــة تدل على التعب وطول الجلاد والصراع ، لا نرى أثراً لباقى الجيش..

يقترب غوما من الخيمة ، يركع إلى جوار الفرس القتيل ويرفع فمها ويدلق فيها قطرات الماء من الزمزمية ولكن رأسها الثقيلة تسقط بلا حراك.. لقد فارقتها الروح).

غوما ـ (راكعاً إلى جـــوار فرسه القتيل) ماتت رفيقـــة النضال، وتوأم الحـروب والنزال.. يـــا لوعتى على ذراعـــى الوحيدة..

ضاعـت يدى اليمين (يقبل كل قدم مـن أقدام فرسه الميتة باكيـاً) كالرعد كنت كالبروق كالريـاح.. يا ربتى الجميلة الوفية.

تمضـى لحظات وهو راكـع متشبثاً بأقدام الفرس الميتة يبكى فى صمت وينتفض. يرفع رأسه ويتلفت حوله فى الصحراء الخالية.

ـ تفرق الجنود لا أثر.. البيد أصبحت خراب... لا صوت لاخبر.

حـارب الفرسـان كالأبطال كل واحـد بألف.. تساقطـوا على ذرى الجبـال (يصرخ صرخة هائلة) الظلم مفترس.. جند الظلام كثرة بلا عدد.. رباه.. أنت عندك المدد.. لو كر جحفل الظلام ألف عام..

لا بد طلعة النهار مقبلة.

(تظهـر خادم على باب الخيمـة.. تقترب منه وفى يدها طبق به ثريد وجرعة ماء).

الخادم ـ أنت جوعان.

غوما ـ كيف حال معروف.

الخادم ـ أنت جوعان سيدى.

غوما ـ هل أكل معروف ؟.

الخادم ـ اشرب جرعة ماء ترد لك روحك .

غوما ـ هل شرب معروف ؟.

الخادم ـ إنه بالداخل ما زال غائب الوعى.

يدخـل غومـا الخيمة ومـا يلبث أن يخـرج وهو يحمـل على صدره معروف.

غوما فـى مقدمة المسرح وقد جلس على الرمال وضم معروف إلى صدره.

معروف يفتح عينيه لأول مرة ويتنهد.

(**غوما يسقيه جرعة من ماء الجرة**).

معـروف ـ (**يتكلـم بصعوبة**) عشت طـول عمرى جبانـاً أخاف المـوت لأنه مؤلم.. ولكن الموت لا يـؤلم.. الموت لا يؤلم يـا إخوتى.. إنما العار هو الذى يؤلم .

غوما ـ ماعادت الشفتان تضحكان.. جف نبع الأنس والمرح.

معروف ـ أين الرفاق ؟.

غوما ـ هل تستطيع الضحك يا معروف..

معروف ـ الضحك !! ؟

غوما ـ على الذى كان ثم لم يكن.. على الجنون مطلق السراح..

والحـق مهدر ومستباح علـى الشفاه أصبحـت رمم تنوشها الذئاب والصقور.

(فـى شرود) أكان حلماً ما جـرى.. أكان وهماً من صنائع الكرى. أيأتى الموت يا إلهى نفتح العيون.. نهب من رقدة الخيال..نصحو على رؤية الحقيقة.

ما أجمل الموت إذن.. والهفى.

صوت مدافع وطلقات رصاص.

تخرج من كل جانب من خلفية المسْرح فرقة تركية مدججة بالسلاح..

تتقدم من جميع الجهات فى حصار محكم وتطلق الرصاص.

غوما - (يهب وقد أخذ يطلق بندقيته فى كل اتجاه وهو يصرخ)

والهفـى (ينطلق مهاجماً ويطلق الرصاص يلقى بندقيته بعد نفاد ما فيها من ذخيرة ثم يجرد سيفه يهجم فى بسالة جنونية وهو يصرخ)..

يا مرحباً بالموت فدية لطلعة النهار.

مبـارزة عنيفة يبارز فيها عددا متزايدا مـن الفرسان.. يسقط قتلى من الترك.. يُجرح غوما يهب معروف لنجدته ولكن رصاصة تعاجله.

أهـل بيت غوما وحريمه ملثمات فى الحجـاب يخرجن فزعين على باب الخيمة يسقط غوما بطعنة قاتلة مجندلاً فى دمائه.

تصرخ بناته صرخة رهيبة.

الجنـود الأتراك يحملون جثة غوما وجثة معروف ثم يجرون بهما إلى الخلفية ثم ينطلقون بهما على ظهور الخيل.

بنات غوما مولـولات فزعات يهرعن خلف الجنـود ثم يعدن فى خيبـة فيركعن إلى جوار بقعـة الدم حيث كان البطـل مجندلاً وهن يصرخان بلغتهن البدوية نادبات :

يا طار غوما طار　　نقـــلوه فى مشـــوار
يا طار بابا خليفه　　فى النجع لا من كيفه
بعده قعدنا جيفه　　قعاد الحطب فى الدار
يا طار بابا خدوج　　مولى الجحاف العوج
ســـكان كل فجوج　　والنجـع بعده حـــار

صوت المغنى البدوى يأتى من بعيد.

يرتفع صوت المغنى :

لا تبكى يا عين

ده موت لأبطال .. ميلاد لعزم الرجال

وفجر طالع من سواد الليال

يا شمس الأفراح

يا دم نابع من بطون الجراح

يا فدية الجود والأيادى السماح

مبروك علينا الشهيد

مبروك يا خال

والصبر يا جلبى.

ستار الختام